

قال الله تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
اي لا غيره بشهادة تعريف الخبرين او بتقدير ضمير الفصل
قبل الذي

٦٦٢

نقل من علي القاري
شرح الشفاء

العبادة عبارة عن الاتيان
بالفعل المأمور به على سبيل
التعظيم

مختصر احياى علوم
المسمى بنتيجة الاحيا

آمين

مختصر احياء العلوم
المسمى بنتيجة الاحيا

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
اياما معدودات الآية

وقيل المراد بالايام المعدودات ايام غير رمضان لقوله عم
ان صوم رمضان نسخ كل صوم فانه يدل على انه قبل ان يفرض
علينا صوم رمضان كان علينا صوم ايام آخر ونسخت
فرضيته بصوم رمضان واختلف في تعيين تلك الايام
التي هي ايام غير رمضان فقيل هي ثلثة من كل شهر وقيل
هي تلك الثلثة مع يوم عاشوراء

شيخ زاده

بخلاف الشيخ الفاني فانه يجب عليه الفدية دون القضاء وذلك لان الشيخ الفاني
لا يمكن ايجاب القضاء عليه فلا جرم وجبت عليه الفدية و
اما الحامل والمرضع فانهما يجب عليهما القضاء فلو وجب
الفدية ايضا لزم ان يجتمع البدلان في حقهما وهو غير جائز
لان القضاء بدل والفدية بدل آخر فمن وجب الفدية عليه
لا يجب عليه القضاء ومن وجب عليه القضاء لا يجب
عليه الفدية

هذا مرتبط بما قبله من قوله تع كتب عليكم الصيام الى قوله ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون الا
قوله والمعنى بالتكبير تكبير يوم العيد والمعنى كتب عليكم الصيام وما يتفرع عليه من الاحكام لتكملوا عدة
عدد ما امرتم بصومه من الايام اداء وقضاء ولتكبروا الله عند اتمام عدتها على ما هداكم الى طريق التعبد
بامتثال امره ووفقكم للخروج عن عهدة ما كلفكم به من صوم الايام المعدودات الى ان تبلغوا يوم الفطر
فانه لو لم يكتب علينا ان نصوم في الايام المعدودات لما تيسر لنا البلوغ الى يوم الفطر والتكبير فيه
قال مالك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احيا قلوب العلماء بالعلوم، والصلوة على نبيه المرسل الى العموم، وعلى اصحابه الذين هم للهداة كالنجوم وبعد لما رايت العاجزين عن ابتياع احياء العلوم بالمال، والقاصرين عن الاخذ منه بالحال، فانتخبت جزأ من كله فما لا يدرك كله لا يترك كله، ليكون فوايد عامة، وعوايد تامة، عاملا بقول القايل لا يخل عنك تهذيبها ولا اهمال، فليسعد النطق ان لم يسعد الحال، وسميته بنتيجة الاحياء، فمن اراد صحة ما نقلته، وزيادة تفصيل فليرجع الى الاصل المنقول عنه فات هذا قطرة من ذلك البحر قال رحمه بعد الخطبة فاما علم الاخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا، وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما، وخطبا مدلهما، رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما، احياء لعلوم الدين، وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين، وايضاحا لما هي العلوم النافعة عند النبيين، والسلف الصالحين، ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم، لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه الاعيان بطلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم، واميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع، واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب ١كتاب العلم ٢كتاب قواعد العقايد ٣كتاب اسرار الطهارة ٤كتاب اسرار الصلوة ٥كتاب اسرار الزكوة ٦كتاب اسرار الصيام ٧كتاب اسرار الحج ٨كتاب فهم تلاوة القرآن ٩كتاب الاذكار والدعوات ١٠كتاب الاوراد في الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب ١كتاب آداب الاكل ٢كتاب آداب النكاح ٣كتاب آداب

٢ ١٠ ١٤ ١٦ ٢٩ ٣١ ٣٢ ٣٥ ٤٠ ٤٤ ٤٩ ٥١ ٥٣

الكسب ٤كتاب اداب الصحبة والمعاشرة ٥كتاب الحلال والحرام ٦كتاب آداب السفر ٧كتاب السماع والوجد ٨كتاب الامر بالمعروف ٩كتاب اداب المعيشة ١٠كتاب العزلة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب ١كتاب شرح عجايب القلب ٢كتاب رياضة النفس ٣كتاب افة الشهوتين البطن والفرج ٤كتاب افة اللسان ٥كتاب افات الغضب ٦كتاب ذم الدنيا ٧كتاب ذم المال والبخل ٨كتاب ذم الجاه والريا ٩كتاب ذم الكبر والعجب ١٠كتاب الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب ١كتاب التوبة ٢كتاب الصبر والشكر ٣كتاب الخوف والرجا ٤كتاب الفقر والزهد ٥كتاب التوحيد والتوكل ٦كتاب المحبة والرضا والشوق ٧كتاب النية والاخلاص والصدق ٨كتاب المراقبة والمحاسبة ٩كتاب التفكر ١٠كتاب الموت كتاب العلم وفيه ابواب سبعة ١في فضل العلم ٢في بيان فرض العين والكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا ٣فيما يعده العامة من علم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره ٤في افات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل ٥في آداب المعلم والمتعلم ٦في افات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والاخرة ٧في العقل وفضيلته الباب الاول في فضيلة العلم اما شواهدها من القرآن فقوله تع شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بالملايكة وثلث باهل العلم وقال تع يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعماية درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسماية عام وقال تع هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تع انما يخشى الله من عباده العلماء ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة ومن الاثار قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم

٥٦ ٦٨ ٧٠ ٧٣ ٧٥ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨٢ ٨٧ ٨٩ ٩١ ٩٥ ٩٩ ١٠٤ ١٠٩ ١١٥ ١٢٢ ١٢٧ ١٣٣ ١٤٠ ١٤٩ ١٥٦ ١٥٩ ١٦٤

١٠كتاب العزلة ٦٦

احدهما حذف العايد وثانيهما حذف المضاف ليصح المعنى تقديره ولتكبروا الله على اتباع الحق الذي هداكم اليه ثم انه تع لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر بين الله انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم حثا لهم على ما امرهم به من صوم الشهر على الوجه المذكور
شيخ زاده في تفسير سورة البقرة

خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه وغيرها
من الآيات والاخبار والآثار التي فصلت في الاصل **الباب الثاني** في العلم المحمود
والمذموم وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه
والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة **في العلم الذي هو فرض
عين** قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم
ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر
من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على
العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم به
ذات الله تعالى وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال
والحرام وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم
كلها وقال المتصوفة علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم
هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو
علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال
ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية والذي ينبغي ان
يقطع به المحصل ولا يتريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم
الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف
العبد العاقل البالغ اياها ثلث اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام
او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو
قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث
وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب
نفس وقد يحصل ذلك بمجرد التقليد والسماع اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف
العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وانما

يجب

دخي مهدي جهانه كلمشدر روافض كرچه كيم طوغدي ديمشدر
ولي ديرلر كه مغربدن كلسه كيمي ديرلر بخارادن كلسه

كذا في المحمدية في فصل اشراط الساعة

يجب غير ذلك بعارض يعرض وتلك العوارض اما في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد
اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم
الطهارة والصلوة فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام
التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقال الظاهر بقاؤه
فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب
العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه
تعلم وجوب الصوم فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من
الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم
يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذلك في سائر الاصناف فاذا دخل اشهر الحج
فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن
ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة
اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه
تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله واما الترك فيجب
على ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وانما يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من
الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له
يجب تنبيهه فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له لكنه
بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر
فيجب تعليمه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها
بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم
ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى
قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على
الاسلام اجماعا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل
الواجب ووقت وجوبه على العلم الذي هو فرض عين وما ذكر الصوفية من فهم

خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من تصدي له اذ كان الغالب ان
الانسان لاينفك عن دواعي الشر والريا والحسد فيلزمه من علم ربع المهلكات ما يري
نفسه محتاجا اليه وكيف لا يحتاج وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم ثلث مهلكات الحديث
ولاينفك عنها بشر في العلم الذي هو فرض كفاية اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره
الا بذكر اقسام العلوم فالعلم بالاضافة الي الفرض الذي نحن بصدده ينقسم الي شرعية
وغير شرعية واعني بالشرعية ما يستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم فالعلوم التي
ليست شرعية تنقسم الي ما هو محمود وما هو مذموم والي ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به
مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الي ما هو فرض كفاية والي ما هو فضيلة
وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام امور الدنيا كالطب
اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في
دقايق الطب وغير ذلك مما يستغني عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج
اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما
المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه
واما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها
ما يظن انها شرعية فتكون مذمومة فتنقسم الي المحمودة والمذمومة اما المحمودة
فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول
وهي اربعة كتاب الله تع وسنة رسوله واجماع الامة واثار الصحابة الضرب الثاني
الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري
منها مجري الالات كعلم اللغة والنحو الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القران
فانه ينقسم الي ما يتعلق باللفظ كعلم القراآت والي ما يتعلق بالمعني كالتفسير
فان اعتماده ايضا علي النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والي ما يتعلق
باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال
البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمي اصول الفقه واما المتممات في الاثار

والاخبار فالعلم بالرجال واساميهم واسامي الصحابة وما يتعلق به فهذه هي العلوم
الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفاية الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم
المحمودة وليست منها فلعلك تقول العلم هو معرفة الشيء علي ما هو به وهو من صفات
الله تع فكيف يكون الشيء مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم بعينه وانما
في حق العباد وانما يذم لاحد اسباب ثلثة الاول ان يكون مؤديا الي ضرر اما
بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر
كعلم النجوم الذي ذمه الشرع قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا
واذا ذكر اصحابي فامسكوا السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض به
فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع
الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا ولا يستقل بها وبالوقوف علي طرق بعضها
الا الانبيا والاوليا فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الي ما نطق الشرع به ففي
ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم فاستضر به ولو لم يخض فيه لكان
حاله احسن في الدين منه بيان ما بدل من الفاظ العلوم اعلم ان منشا التباس
العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها بالاغراض
الفاسدة الي معان غير ما اراده السلف وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد
والتذكير والحكمة اما الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص اذ خصصوه بمعرفة الفروع
الغريبة في الفتاوي وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها
يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا علي طريق علم الاخرة
ومعرفة آفات النفوس وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا واستيلاء الخوف علي
القلب ويدلك عليه قوله تع ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه واما العلم وقد كان يطلق ذلك علي
العلم بالله وباياته وافعاله في عباده وقد تصرفوا ايضا بالتخصيص حتي
شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها

وكالبحث صح

مطلب بيان توحيد الفاظ العص

مطلب في التوحيد

واما التوحيد فقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق
المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق بتكثير
الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات وكان التوحيد عندهم
عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان
يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الاسباب فلا يرى الخير
والشر الا منه اما الذكر والتذكير فقد قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر الى غير ذلك فنقل
ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح
والطامات اما القصص فهي بدعة ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا
لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلعم ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة فظهر
القصاص واما الاشعار فكثيرها في الوعظ مذموم قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون
الم تر انهم في كل واد يهيمون واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق
بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس
لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة
عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكنة فيها واما
الشطح فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوى
الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة
حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة
بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي
صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم
واظهروا مثل هذه الدعاوى فلا ينبغي الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ومهما
انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم

مطلب في الشطح والطامات

حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق
الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة
وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها
عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا
هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها
بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني
بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش
العقول وقد قال النبي عليه السلام ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان
فتنة عليهم واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصه وهو صرف
الفاظ الشرع من ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام شيء كدأب
الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم والباطن لا ضبط له بل
تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى ومثال تاويل اهل الطامات
قول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشار الى قلبه وقال
هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى والق عصاك اي كل
ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه السلام
تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى
يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس
وسائر العلماء واما اللفظ الخامس وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب
والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق
والحكمة هي التي اثنى الله عليه فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال صلعم
كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وغير ذلك من التفاصيل المتبعة في الاصل
المنقول عنه في بيان القدر المحمود من العلم المحمود والقسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء
وهو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة

وحفظا بياض

على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل الى سعادة الاخرة وهي اما
هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة
احوال علماء الاخرة هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة
وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيه بانبيا الله عز وجل
واوليايه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد لكن لا غنى
فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا محالة لا مفتاح لها سواها
واما العلوم التي لا يحظى منها الا بمقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في
فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصا
وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك
واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك
قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي
هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من
تعلم الصوم والصلوة والطهارة واما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات
القلب اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحسد والحرص والريا والكبر — الخصال
واخواتها هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة
يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون
باخراج المادة بالفصد والاسهال ولا تستغرق عمرك في فن واحد طلبا للاستقصا
فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها
وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاشتغل بفروض
الكفايات فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه
على غريب القران وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصا ونحن نشير
اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في

ما يبلغ

ما يبلغ ضعف القران في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز
والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القران كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء
ذلك استقصا مستغنى عنه ولا مرد له الى انتها العمر اما الاقتصار فيه تحصيل — الحديث بياض
ما في الصحيحين بتصحيح نسخته على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي
الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك
حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة
واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليه ما خرج منهما مما ورد في المسندات الصحيحة
واما الاستقصاء فما وراء ذلك اما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني
وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة امثاله وهو
القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى
ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها
اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقايق الامور من غير طريقه
ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي
اوردناه في كتاب قواعد العقايد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه وهو
القدر الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة
مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها من قلب العامي وذلك لا ينفع الا
مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو شيا
يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال القصور
على نفسه وقدر ان عند جوابا هو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة
عليه واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها
من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثله في السلف فاياك ان تحوم
حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل الباب الرابع في سبب اقبال الخلق
على علم الخلاف اعلم ان الخلفاء الراشدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب سبب [illegible] علم الخلافيات

كانوا أئمة وعلماء بالله تع وفقهاء في احكامه ومستقلين في الفتاوى في
والاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقايع لا يستغنى فيها
عن المشاورة فتفرغ العلماء عن علم الآخرة وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق
باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم
فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال
بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم
في جميع احوالهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول
وملازم على صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا
هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء
والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم
مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل
الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم
وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل
الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد
ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله
عز وجل في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم
الفتاوى والاقضية ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس
في العقايد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة
في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق
المجادلات واستخرجوا فيها فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب
عن دين الله تع والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال
بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله تع ونصيحة لهم
ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة لما تولد

من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب
البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على مسائل
الخلافية بين ابي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك
وسفين واحمد بن حنبل وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقايق الشرع وتقرير علل المذهب
وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات
وهم مستمرون عليها الى الآن ولسنا ندري ما الذي قدر الله تع عز وجل فيما بعد ولو مالت نفوس
ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم
يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به من علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

في بيان التلبيس في تشبيه في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضة السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح
وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجد والاخوة وغير ذلك
على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات
الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان الثاني ان
لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم من المناظرة عصى بفعله الثالث ان
يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب ابي حنيفة والشافعي وغيرهم فاما من ليس له رتبة الاجتهاد
وهو حكم جميع اهل العصر فانما يفتي فيما يسال عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه
لم يجز له ان يتركه فاي فايدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل
عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد
في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه
فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها
قط بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا
الرابع ان لا يناظر الا في مسألة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا
الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه الخامس ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليه من

في المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم وفي الجمع ما يحرك
دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا السابع ان لا
يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات
السلف فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل منعوا احدا من الانتقال
من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون
كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه
ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق
على السنتهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم وان اردت زيادة التفصيل — التفصيل بيانه صح
فارجع الى الاصل الذي هو احياء العلوم بيان آفات المناظرة اعلم وتحقق ان المناظرة
الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتفوق والمباهاة والمماراة
عند الناس واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تع المحمودة
عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة
وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف
والقتل والسرقة الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم اما المتعلم فادابه ووظائفه
كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تسع جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الا خلاق
اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله وكما لا تصح الصلاة التي هي
وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والجنابات فكذلك
لا تصح عبادة الباطن الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق قال النبي صلعم بني الدين
على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تع انما المشركون نجس تنبيها للعقول
على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس الوظيفة الثانية ان
يقلل علايقه من اشغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن الوظيفة الثالثة ان لا يتكبر
على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي زمام امره بالكلية في كل تفصيل فيذعن لنصحه اذعان
المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب قال النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المومن التملق الا في طلب العلم الوظيفة الرابعة
ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان
ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه
بل يتيقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب
الوظيفة الخامسة ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر
فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه الوظيفة السادسة
ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمة
ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة
اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة
الله تع ولست اعني به الاعتقاد الذي تلقفه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق
تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم
بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تع في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن
الخبائث ولكن حريصا على معرفة ذلك الشي الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين الوظيفة
السابعة ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وهو العلم بالله وملائكته
وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم واياك وان ترغب الا فيه وان
تحرص الا عليه الوظيفة الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه و
تجميله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه ولا يقصد به الرياسة والمال ومباراة
السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى
مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم
اعني علم الفتاوي وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما
اوردناه في ضروب العلوم التي هي فرض كفاية الوظيفة التاسعة ان يعلم نسبة
العلوم الى المقصد كيلا يوثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم
ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والاخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم

[illegible] صح

مطلب مراتب العلوم ومقصدها

الآخرة كما نطق به القران وشهد له من نور البصاير ما يجري مجرى العيان
فالاهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال
سعيا الى المقصود ولا مقصد الا لقاء الله تع ففيه النعيم كله **بيان وظايف**
المرشد المعلم اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال حال طلب وحال تحصيل يغنيه
عن السوال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف
الاحوال فمن علم وعمل وعلّم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس
تضي لغيرها وهي مضيئة والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال
عن العلم ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه
ووظايفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه
قال صلعم انما انا لكم مثل الوالد لولده الوظيفة الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع
صلى الله عليه وسلم ولا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل
يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب اليه الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا
وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل الاستحقاق والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ
من الجلي ثم ينبهه على ان مطلب العلوم القرب من الله تع دون الرياسة وغير ذلك كما فصل
في الاصل الوظيفة الرابعة وهي من دقايق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق
بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك
حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل
معلم لو منع الناس عن فت البعرة لفتوها وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك
على هذا قصة آدم وحواء وما نهيا عنه الوظيفة الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم
لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه
ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين
ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين الوظيفة السادسة
ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه اقتداء بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن

مطلب في وظائف المعلم

معاشر

معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم الوظيفة
السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللايق ولا يذكر له ان وراء
هذا تدقيقا وهو يدخره عنه الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه
فلا يكذب قوله بفعله وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه
سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه **الباب السادس في آفات**
العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد في فضايل
العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة ونعني بالعلماء السوء
علماء الدنيا الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة
عند اهلها قال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا نفعه الله
بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون
بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم
في القلب فذلك العلم النافع واما الآثار فقد قال عمر رض ان اخوف ما اخاف
على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان
جاهل القلب في العمل ولعلماء الآخرة علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه
وان لا يخالف فعله قوله وان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة
المرغب في الطاعة وان يكون غير مايل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس و
التجمل في الاثاث والمسكن وان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة
ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه
فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالطة لهم لا
تخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة وان لا يكون
متسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان
سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى
وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد و

مطلب في بيان علامات علماء الآخرة و علماء ... [illegible]

وتحميز احتياطا ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم
لا تقلد فقط الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة
ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري
لله ليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشق على النفس وهكذا
كانت عادة الصحابة والسلف وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس
في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري وان يكون اكثر
اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وان يكون
شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين راس مال الدين قال صلى الله
عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوايله ثم ينفتح
للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين معناه جالسوا الموقنين
واسمعوا منهم العلم اليقيني قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين
كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله
ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه
كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة
وان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته
وحركته وسكونه ونطقه وسكوته وان يكون بحثه في العلم الاعمال عما يفسد
الاعمال فان اصل الدين التوقي عن الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه
بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب
الشرع صلى الله عليه وسلم فيما امر به وقاله وانما تقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على
سماعهم من رسول الله صلعم ثم اذا قلد صاحب الشرع عليه السلام في تلقي اقواله وافعاله
بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان
الرسول صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول عليه السلام لم فعله لا بد ان يكون لسر فيه فانه

ان

ان الكتب بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم
وكان لا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه
الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره وان
اردت زيادة تفصيل في هذا الكتاب فارجع الى الاصل الماخوذ منه الذي هو كتاب
احياء العلوم **الباب السابع** في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه **بيان شرف العقل** اعلم ان هذا
لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه
واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين
وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات
في ذكر شرفه وقد سماه الله تع نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم
المستفاد منه روحا ووحيا فقال تع وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تع
او من كان ميتا فاحييناه وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم
وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند
ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله تع وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة
رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تع وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة
حسن الهيئة فصيحا نطوقا **بيان** حقيقة العقل واقسامه اعلم ان الناس اختلفوا
في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة
والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان فا
فالاول الوصف الذي به يفارق الانسان سائر البهائم وهو الذي به استعد
لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية الثاني هي العلوم التي تخرج
الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان
الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين الثالث علوم تستفاد
من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب
يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع

الباب سابع

واستحالة

آخر العلوم يسمى عقلا الرابع ان ينتهي قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب
الامور وتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة
يسمى صاحبها عاقلا بيان تفاوت الناس في العقل قد اختلف الناس في تفاوت
العقل والحق الصريح ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم
الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فاما الاقسام
الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع
الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه واما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت
الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه
اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت في الممارسة وان اردت زيادة تفصيل فارجع الى
الاصل الذي هو كتاب احياء العلوم فان هذا منه كالقطرة من البحر والذرة من الشمس
كتاب قواعد العقائد وفيه اربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة
في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي
صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد
بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى
صلى الله عليه واقتفاء صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم
في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف
اياهم في ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه
قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له
دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء
تصرم الآماد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن التنزيه
وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا
في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا

يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار
ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش
على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار و
التمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون
في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا
الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو
مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد فهو على كل شيء شهيد
اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل
في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل
ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته
ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله
الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال
وفي صفاته كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود با
بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما
للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم القدرة وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور
ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك
والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات
مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع
المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم
لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته
ولا تتناهى معلوماته العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم
الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر

في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات
السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في
ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري
في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان
او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره وحكمه
ومشيته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة
او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته
في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها
التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراد في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على
وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص
ازمان فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير يسمع و
يرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب
سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة
وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة لا تشبه صفاته صفات
الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق **الكلام امره ونهيه** وانه متكلم امر ناه واعد
ومتوعد بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال
هواء واصطكاك اجرام ولا بحرف يتقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن
والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة
مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله عز وجل
لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام
الله تعالى بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له
هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم والقدرة
والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه

الا هو

الا هو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها
وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء
وارض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته
بعد العدم اختراعا وانشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم
معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في
الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف
لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان
والنعمة والامتنان اذ كان قادرا ان يصب على عباده انواع العذاب و
يبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان عدلا منه ولم يكن قبيحا ولا
ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق
واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه
في الطاعات واجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه عليهم السلام لا بمجرد
العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه
ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به **معنى الكلمة الثانية** وهي
شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى
الله عليه وسلم برسالته على كافة الخلق العرب والعجم والجن والانس فنسخ شرعه
الشرائع الا ما قرره الله تعالى وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر
ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قوله لا اله الا الله ما لم يقترن بها
شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع
ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر به
بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان

العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان
من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت
وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح كما يشا ويؤمن
بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طباق السموات والارض
يوزن فيه الاعمال بقدرة الله تع والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام
العدل وتطرح صحائف الحسنات في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها
عند الله تع بفضل الله تع وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله
ويؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر
يزل عنه اقدام الكافرين بحكم الله تع فيهوي بهم الى النار ويثبت عليه اقدام المؤمنين
فيساقون الى دار القرار ويؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلعم يشرب منه المؤمنون
قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة
شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عدد نجوم السما فيه
ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب
والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شاء من الانبيا
عن التبليغ والرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن
السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين عن النار بعد الانتقام حتى
لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تع ويؤمن بشفاعة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا
ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج
بفضل الله تع فلا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد
فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم
عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وان يحسن الظن بجميع ويثني عليهم كما اثنى الله عليهم
فكل ذلك مما ورد به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان
من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله

فنسال الله تع كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المؤمنين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد ما ذكرناه
من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا
يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد
ثم الايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان نعم يكون الاعتقاد
الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع ضعف في الابتدا ولا بد من تقويته في نفس الصبي
والعامي حتى يترسخ وليس طريق التقوية ان يعلم الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة
القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده
يزداد رسوخا بما يقرع سمعه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل
بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الاخرة باعتقاد الحق وان اراد ان يكون
من سالكي طريق الاخرة وساعده التوفيق حتى لازم التقوى انفتح له ابواب من
الهداية لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو
الجوهر النفيس الذي هو غاية الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي
وقر في قلب ابي بكر الصديق رضي الله عنه **الفصل الثالث من الكتاب** في لوامع
الادلة للعقيدة فنقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة
بانوار اليقين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به
من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول ان لم يتحقق الاحاطة
بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على
ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول
فعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة **الركن الاول** في معرفة ذات
الله تع ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وبقائه وقدمه وانه
ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه مرئي
وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا

عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام
والعلم والارادة الركن الثاني في افعاله تع ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال
العباد مخلوقة لله تع وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تع وانه متفضل بالخلق
وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه
لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا عليه السلام ثابتة
مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات وهي اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر
ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة ادلة الاصول المذكورة
مفصلة ومحققة في الاصل الذي هو احياء العلوم الفصل الرابع في قواعد العقائد
في الايمان والاسلام فنقول في هذا ثلثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن
المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالاول لغوي والثاني
تفسيري والثالث فقهي شرعي البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة
عن التصديق قال الله تع وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم
والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل
خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح
فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان
وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص
وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم
تصديقا البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما
على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما
الترادف ففي قوله تع فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال الله تع ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان
فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تع قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا

الاصلح

ولكن

ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا تصديقا
القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان وروي عن النبي عم انه سئل
عليه السلام فقيل اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقيل اي الاسلام افضل فقال
الايمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو اوفق الاستعمالات في اللغة لان الايمان
عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح
وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل
الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة
واما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة
والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال
التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن
ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق
جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن
مطابق الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة
عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق
للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا اخرج قوله الايمان
في جواب قول السائل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام
فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن
التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف
في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم
الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر
ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا
لاسم الاسلام ومطابقا له وعليه خرج قوله تع فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين البحث الثالث عن الحكم الشرعي وللاسلام وللايمان حكمان اخروي

او فوق [?]

معنى الايمان والاسلام والفرق بينهما

وتفصيله مذكور في كتب الاصول

ودينوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ومن
اراد ان يعرف حكمة الدنيوي فليراجع الى الاصل المأخوذ منه الذي هو
احياء العلوم فان فيه بيان تفاصيل اختلافات المذاهب كتاب اسرار
الطهارة وهو الكتاب الثالث من كتب احياء العلوم اما بعد فقد قال النبي صلعم
بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تع فيه
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور
نصف الايمان وقال الله تع ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان
يكون المراد بقوله الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف باضافة
الماء وتخريب الباطن وابقائه مشحونة بالاخباث والاقذار هيهات هيهات
فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الآثام والجرائم والثالثة تطهير
القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر
عما سوى الله تع وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة
نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله
وعظمته ولن تحل معرفة الله عز وجل بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تع ولذلك
قال الله تع قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة
ولم يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة فتطهيرها احد الشطرين
وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى
وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني الشطر
وهذه مقامات ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان

بجاو

فصل الاول في [illegible]

يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم
وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات
وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظنن
ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات
لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة التي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار
يستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة
هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم في تطهير القلوب وتساهلهم
في امر الظاهر حتى ان عمر رض مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى انهم
كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص
اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد
ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه
كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال ابو هريرة رض الله عنه
وغيره من اهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في نعنا
ثم نفركها بالتراب ونكبر وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة
ويقولون هي مبنى الدين واكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها
والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون
ذلك ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض
او بوري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم
او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا فيه القيامة وشددوا
النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته
فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر
معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه

فان قلت افتقول هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات
او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذه التكلفات
واعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار
وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات
وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه
مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف في ماله وبدنه وثيابه فيفعل به ما يريد اذا لم يكن
فيه اضاعة واسراف واما مصيره منكرا بان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله عليه السلام
بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين وان يكون القصد
به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين
الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على
من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلوة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه
او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن
لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث
فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات
فلا باس اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه
الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها
في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين
ووقت العالم اشرف من ان يصرف الى مثله فيبقى محظوظا عليه فلا ينبغي للبطال ان يترك
النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة رضي الله عنهم اذ التشبه بهم
في ان لا يتفرغ الا لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي رحمه الله لم لا تسرح لحيتك قال
اني اذا لفارغ ولهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا
من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول
يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم من فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة

بل كانوا

يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة
بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي
معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان
صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف ولو وجد العالم عاميا
يتعاطى له غسل الثوب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير من ذلك
العامي يسمع يتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه
المعاصي في تلك الحالة والنفس ان لم تشغل نفسها للعبادة شغلت صاحبها واذا
قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فهذه طهارة الباطن
من كتاب احياء العلوم واما طهارة الظاهر فلم نوردها في هذا المختصر من اراد
ان يعرفها فليراجع اليها اليه كتاب اسرار الصلوة ومهماتها وهو الرابع من
كتاب احياء العلوم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رخص للعباد في المناجات
بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الاحوال في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة
بل تلطف بالترغيب في الدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد
تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه
واعم احسانه والصلوة على نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح
الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام
اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط
المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها
النادرة ووقائعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليها
يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد منه للمريد من اعمالها
الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع
والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على
سبعة ابواب الباب الاول في فضائل الصلوات الباب الثاني في تفصيل الاعمال

الظاهرة من الصلوة الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها الباب الرابع في الامامة
والقدوة الباب الخامس في صلوة الجمعة وادابها السادس في مسايل متفرقة يعم بها البلوى
الباب السابع في التطوعات **الباب الاول** في فضايل الصلوات والسجود والجماعة
والاذان وغيرها **فضيلة الاذان** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة
على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل
قرا القران ابتغاء وجه الله تع وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا
الى الله ابتغاء وجه الله تع ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال
صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقال
سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن
واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملايكة **فضيلة المكتوبة** قال الله تع ان الصلوة
كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله تع
على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله
ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عز وجل عهد ان شاء عذبه
وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب
غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون في ذلك يبقى من درنه قالوا لا
شي قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا
ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنب الكباير الى غير ذلك من الدلايل الكثيرة
في الاصل **فضيلة اتمام الاركان** قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة المكتوبة
مثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلعم
مستوية كانها موزونة وقال صلعم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة
وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء والارض واشار
الى الخشوع وقال ابن مسعود وسلمان رضي الله عنهما الصلوة مكيال فمن اوفى
وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تع في المطففين **فضيلة الجماعة** قال صلى الله عليه وسلم

الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلعم
فقد ناسا في بعض الصلوة فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس
ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فتحرق عليهم بحزم الحطب بيوتهم
ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء وقال عثمان
رضي الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن
شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلعم من صلى صلوة في جماعة فقد ملى
نحره عبادة وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا في الله
ان تعوججت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع
عني سهوها ويكتب لي فضلها وقال النخعي مثل الذي يوم بالناس بغير علم
كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه **فضيلة السجود** قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله بشي افضل من سجود خفي
وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله عز وجل سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها
خطيئة وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله تع اذا كان ساجدا وهو معنى
قوله تع واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو
ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق
من الباطن الى الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم
القيمة من اثر الوضوء ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب
فضيلة الخشوع قال الله تع واقم الصلوة لذكري وقال تع ولا تكن من الغافلين فليس
وقال تع ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم
وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة
فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال
النبي صلعم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من الدنيا غفر له ما تقدم من
ذنبه وهو مذكور في الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع

وتباكي وتنادم وتقنع بين يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهو خداج وروي
عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست
اسمعكم وروي عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب
رضه اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل ما لك يا امير المومنين فيقول
جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن
منها **فضيلة المسجد** وموضع الصلوة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة
وقال عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال علي بن ابي طالب اذا مات بكى
مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما
كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال انس من اسرج
في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك
المسجد ضوؤه **الباب الثاني** في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداءة بالتكبير
وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء والطهارة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة
ويراوح بين قدميه فلا يضمهما ويرعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب
واما رأسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب
الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فاذا
استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل اعوذ برب الناس تحصنا
به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن
اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اؤدي فريضة
الظهر لله تعالى وليكن معاني هذه الالفاظ حاصلة في قلبه فان النية والالفاظ
مذكرات لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير لا يعزب فاذا حضر
في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه

منكبيه

منكبيه وبابهاميه شحمتي اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا
بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا
يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر
النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ
التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليمين على اليسار فوق السرة وتحت الصدر
ويضع اليمنى على اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع
الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع
احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدأه الارسال وآخره الوضع
وليتأنق وضع اليمين على الشمال **واما** التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله عز وجل
ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء واللام شبه الواو وذلك
ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء التكبير وبين رائه الفا كانه يقول اكبار
ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه **القراءة** ثم يبتدي
بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله حمدا كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا
بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام
سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ
الفاتحة يبتدي فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد
في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا
ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب
والعشاء الا ان يكون ماموما ثم يقرأ السورة او قدر ثلث آيات من القرآن
فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبيرة الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله
سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور من طوال المفصل وفي المغرب من قصاره

وفي الظهر والعصر والعشاء بنحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح
في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف
والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول
الصلوة الركوع ولواحقه ثم يركع ويراعي فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان
يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه الى ركبتيه في الركوع واصابعه
منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما
وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة
الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم
المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والسبعة و
الزيادة الى السبع والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع
الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول
ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا
القيام الا في صلوة التسبيح السجود ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه
على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع مع غير الركوع يديه
وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع
بعدهما وجهه وان يضع انفه مع الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة
ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وان يكون مخويا في السجود رافع
البطن عن الفخذين وان يضع يديه على الارض حذو منكبيه ولا يفرج اصابعهما
بل يضمها ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه
وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرفع من
السجود فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب
قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا
تفريجها ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية

الثانية كذلك ويستوي فيه جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة ويصلي الركعة
الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء التشهد ثم يتشهد في الركعة الثانية
التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى
على فخذه اليمنى ويشير بمسبحته غياه ويطلقها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله وحدها
ويجلس على رجله اليسرى وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلوة على
الآل ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن
من ورائه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية
وينوي الخروج بالسلام من الصلوة وينوي السلام على من على يمينه من
الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويجزم السلام
فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلوة المنفرد المنهيات نهى رسول الله
صلى الله عليه في الصلوة عن الصفن والصفد وعن الاقعاء والسدل والكف
وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة الجائع وعن صلوة الحاقن
والحاذق والغضبان والملثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل
اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على
ساقيه جاثيا على الارض الا رؤس اصابع الرجلين واما السدل فمذهب
اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد وقيل معناه
ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما
على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من
خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو
عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء
ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان ياتزر فوق القميص في الصلوة
ورآه من الكف واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرتيه واما
الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما

المواصلة فهي خمسة اثنتان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام
ولا ركوعه بقراءته واثنتان على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام
ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة
الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق
صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم
وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة
فابدؤا بالعشاء الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر
لا يدخلن احدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان
وقال الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع الخبر ذكره
من التفاصيل التي فصلت في الاصل غير السنن وصح الى الفصل فاعلم ان اشتراكها
في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال
وهو ان الانسان لا يكون انسانا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة
والباطن هو الحيوة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك ينعدم
الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته وفي
بعضها لا تفوت بها الحيوة ولكن يفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد
والرجل واللسان وبعضها يفوت بفواتها الحسن لا المقاصد كالحاجبين واللحية
والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن يفوت كماله
كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج
الحمرة بالبياض في اللون وهذه درجات متفاوتة وكذلك العبادة صورة
صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحيوتها الباطنة الخشوع والنية
وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن الآن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود
والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد اذ يفوت بفواتها
وجود الصلوة والسنن التي في الصلوة من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد

مطلب الطمأنينة في الصلاة وادراكها

١٧١

مطلب شغل الصلاة وآدابها الاديان

الاول تجري مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت
الحيوة بفوات هذه الاعضاء ولكن تصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما
غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلوة كان كمن اهدى الى
ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف واما الهيئات وهي ما وراء السنن
فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما لطائف
الآداب في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة
اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك
كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله
ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها او تقبيحها
فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من
ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض فلا تعي بعلمك من اوصاف السنة
الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العينين
لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول
السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن و
والهيئات والآداب وكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم
الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي
اوردناها في اكمال اركان الصلوة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث

في الشروط
الباطنة من اعمال القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور
القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تع واقم الصلوة لذكري وظاهر الامر
يقتضي الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره
وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله تع حتى تعلموا ما تقولون تعليل
لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله
صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة للتحقيق

والتحيي

والتحيي دقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشا و المنكر لم تزده
من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع عن الفحشا د وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم
حظه من صلوته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل فان قلت
ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت
به اجماع الفقها فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد
تقدم في كتاب العلم ان الفقها د لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب
ولا في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر
الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان فاما انه ينفع في الاخرة فليس
هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعي الاجماع فيه فقد نقل عن بشر بن الحارث
فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفين الثوري انه قال من لم يخشع قلبه فسدت
صلوته وروي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر القلب فيها فهي الى العقوبة اقرب
وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا صلوة
له وروي ايضا مسندا وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها
ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا
فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من
صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء
الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والايات انها هي
في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق
فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فانه يعجز عنه كل البشر
الا الاقلين وان لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط
منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا
على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال
التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف

لاوالذي

لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجرها بحسب فعله
وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال
التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل
المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة اذا تعارض اسباب الخوف والرجا
وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعد في الاحتياط ومع هذا فلا مطمع في مخالفة
الفقها فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك ضرورة الفتوى كما سبق
التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في
الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقايد ان قصور الخلق
احد اسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا
القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة بيان المعاني الباطنة
التي بها تتم حيوة الصلوة اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن
تجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحيا و
بيان الدواء النافع في حضور القلب اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما
لله وخائفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه
ولا يلهى عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار
القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وفي هذا المقام
تفاصيل كثيرة في الاصل الماخوذ عنه الذي هو احياء العلوم ومن
اراد ان يغتنم بها فليرجع اليه الباب الرابع في الامامة والقدوة وعلى الامام
وظايف قبل الصلوة وفي القراءة وفي اركان الصلوة وبعد السلام اما الوظايف
قبل الصلوة فستة اولها ان لا يتقدم على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر
الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الخبر
ثلثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الابق وامراة زوجها ساخط
عليها وامام قوم هم له كارهون الثانية اذا خير المرء بين الاذان والامامة

ينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلاً ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان
يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولي وقال قايلون الاذان
اولي لقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن والصحيح ان الامامة
افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما والايمة
نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر الثالثة ان يراعي الامام اوقات
الصلوة فيصلي في اوايلها ليدرك رضوان الله تع ففضل اول الوقت على اخره الافق
كفضل الاخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليصلي الصلوة في اخر وقتها لم تفته وعا فاته من اول وقتها خير من الدنيا وما وقتها ساه
فيها الرابعة ان يؤم مخلصاً لوجه الله فان اخذ من قايم المسجد قدر وقف
على من يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا نحكم بتحريمه ولكنه
مكروه ويكون اجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المساجد
في اقامة الجماعة لا على نفس الصلوة الخامسة ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف
ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة السادسة ان يرفع صوته بتكبير الاحرام
وساير التكبيرات الباب الخامس في فضل الجمعة قال صلى الله عليه وسلم ان الله فرض
عليكم في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلعم من ترك الجمعة من غير عذر طبع الله
على قلبه وفي لفظ اخر نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس رضي الله عنه
فسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جماعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد
اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار باب شروط الجمعة اعلم انها تشارك
ساير الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط الاول الوقت فلو وقعت
تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا الثاني المكان
فلا تصح في الصحاري والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية
لا تنقل تجمع اربعين ممن يلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان
ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه الثالث العدد فلا ينعقد باقل من اربعين

ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتاءً ولا صيفا الرابع الجماعة
فلو صلى اربعون في قرية او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك
الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية ان لم يدرك ركوع الركعة الثانية
اقتدى ونوى الظهر اذا سلم الامام تممه ظهرا الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة
باخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة
بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحريم اولا واذا
تحققت الحاجة فلا فضل الصلوة خلف الافضل من الامامين فان تساويا
ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى
السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما
فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله الثانية الصلوة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة اية
من القران وكذا فرايض الثانية اربعة الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة
واستماع الخطبة واجب من الاربعين الباب السادس في مسايل متفرقة الفعل القليل
وان كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل
العقرب وعكس قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلثا كثر وبطلت الصلوة وكذلك
البرغوث والقملة فهما تاذي بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى الحك الذي
يشوش عليه الخشوع وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل
ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي
الصلوة وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى
كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا باس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان
سقط رداؤه فلا ينبغي ان يسويه وكذا طرف عمامته وكل ذلك مكروه الا
لضرورة الصلوة في النعلين جايزة وان كان نزع النعلين سهلا مسئلة
من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا يلزمه ولو راى

النجاسة في أثناء الصلاة رمى الثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا
قصة خلع النعلين حيث أخبر جبرائيل بأن عليهما نجاسة فإنه صلى الله عليه وسلم
لم يستأنف الصلاة. مسألة الوسوسة في نية الصلاة سببه خبل في العقل
أو جهل بالشرع لأن امتثال أمر الله مثل امتثال غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد
ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل
لأجل فضله متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي سفهه في عقله بل كما يراه ويعلم
فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه معظماً إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة
واشتراط كون الصلاة ظهراً أداءً فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط كون القيام
مقروناً بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد
التعظيم به ليكون تعظيماً فإنه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة
لم يكن معظماً ثم هذه الصفات لا بد أن تكون معلومة وأن تكون مقصودة
ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة
عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا
الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيها إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت
وقمت فالوسوسة محض الجهل فإن هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس
في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها
وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد
للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلاً فإن من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد
في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوماً هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن
من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وأن التقدم
للعدم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث
بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر
أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر
فقال ما عرفته قط كان كاذباً وكان قوله مناقضاً لقوله إني أعلم الحادث

ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر
في قلبه الظهرية والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة
بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل
العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة تندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال
أمر الله تعالى في النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة
فأقول لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة ولم يتمثل
في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله
إلى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن
الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك شطط ولو كان مأموراً لوقع للأولين سؤال
عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر
على التساهل فكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك
ويفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد فيه. مسألة
لا ينبغي أن يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما وفي سائر
الأعمال ولا ينبغي أن يساوقه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء فإن
ساوقه عمداً لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه وإن تقدم عليه
ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى ببطلانه تشبيهاً بما لو تقدم في
الموقف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء بالفعل لا في الموقف فالتبعية في
الفعل أهم. وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل
الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام
جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع
الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول. مسألة حق على
من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه
فإن صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف

ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من رفع راسه قبل الامام الى
غير ذلك من الامور فقد صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه
وقال ابن مسعود من راى من يسيء صلوته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها **الباب
السابع** في النوافل من الصلوات اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات تنقسم الى
ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات واعني بالسنن ما نقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوة وصلوة الضحى والوتر والتهجد
وغيرها لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة والمستحبات ما ورد الخبر بفضله
ولم تنقل المواظبة واعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه
تطوع به العبد من حيث رغبته في مناجاة الله تعالى بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها
مطلق وكانه متبرع به اذا لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة
مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع ويسمى الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان
النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة
الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقاء والى ما
يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة
او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **الاول** ما يتكرر بتكرر الايام
والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوة الخمس وثلاثة هي ما عداها وهي صلوة
الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان
قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها الثانية راتبة الظهر
وهي ست ركعات ركعتان بعدها سنة موكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة
وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن
صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات
قبل العصر روى ابو هريرة عنه عليه السلام انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر

فنعم

فنعم ذلك على جاد الدخول في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ~~هيلة بعد العشاء~~ مستحب
استحبابا موكدا الرابعة راتبة المغرب وهي ركعتان بعد الفريضة لم تختلف
الرواية فيهما الخامسة راتبة العشاء الاخيرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة
قالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الاخيرة اربع ركعات
ثم ينام السادسة الوتر قال انس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بعد
العشاء بثلاث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها
الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع
وهي صلوة الايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فيبدا فيها
بيوم الاحد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم
الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وامن الرسول مرة كتب
الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه الله ثواب نبي وكتب له
حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلوة واعطاه الله تعالى في الجنة بكل حرف مدينة
من مسك اذفر **يوم الاثنين** روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و
اية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عشر
مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه **يوم الثلثا** يزيد
الرقاشي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الثلثا
عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرا
في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم تكتب
عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له
ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعا** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرا
في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين

ثلث مرات ناديه به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك
ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدايد
القيمة ورفع له من يوم عمل نبي **الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في الاولى
فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل
هو الله احد مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان
وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد من امن بالله وتوكل عليه
حسنة **الجمعة** روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في صلوة الجمعة من عبد مومن قام اذا استقبلت الشمس وارتفعت قيد
رمح واكثر من ذلك فتوضا ثم اسبغ الوضوء فصلى ركعتين تسبيحة الضحى ايمانا
واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى
اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعماية درجة ومن صلى ثمان ركعات
رفع الله له في الجنان ثمانماية درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي
عشرة ركعة كتب الله الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع
له في الجنة الفا ومائتي درجة **ليلة الاثنين** روى الاعمش عن انس قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرا في الركعة الاولى الحمد لله
وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الاولى الثانية الفاتحة وقل هو الله احد
عشرين مرة وفي الثالثة الفاتحة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي
الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة وصلى على
محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم ليسال الله حاجته كان حقا على الله
ان يعطيه سوله وهي تسمى صلوة الحاجة **ليلة الثلثا** يصلي ركعتين في كل
ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرا بعد التسليم
اية الكرسي خمس عشرة مرة ويستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة الاربعا** روت فاطمة قالت

قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم
مالك الملك الى اخر الاية فاذا فرغ من صلوته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا
عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب الله له براءة من النار
ليلة الخميس قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب
والعشاء ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس ٦ الكلا واية ع
مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل
ثوابه لوالديه فقد ادى حقهما عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما
يعطي الصديقين والشهداء **ليلة الجمعة** قال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل فاتحة الكتاب
مرة وقل هو الله احد عشر مرة فكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة صيام نهارها
وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلوة العشاء
الاخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرا في كل ركعة
الفاتحة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلث ركعات ونام على جنبه الايمن
ووجهه الى القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من
الصلوة علي في الليلة الغراء وفي اليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت**
قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة
ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرا من اليهود وكان
حقا على الله ان يغفر له **القسم الثالث** ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربعة صلوة العيدين
والتراويح وصلوة رجب وصلوة شعبان اما صلوة العيدين فهي سنة مؤكدة وشعار
من شعاير الدين وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور الاول التكبير ثلثا نسقا فيقول
الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويستفتح
التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلوة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب

عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر
عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد الثاني اذا
اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما في الجمعة والرداء والعمامة هو
الافضل للرجال ويجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج الثالث ان الخروج
يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر الرابع المستحب الخروج الى المصلى وان كان يوم مطر
فلا بأس بالصلوة في المسجد الخامس يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس
الى الزوال ووقت الضحايا للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين
الى آخر الايام الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلوة اليوم
الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم السادس
في كيفية الصلوة فليخرج الناس مكبرين في الطريق ويصلي الامام ركعتين يكبر
في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان
الله والحمد لله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة
الى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية
والتكبيرات الزوائد خمس سوى تكبيرة القيام والركوع ويوالي بين التكبيرتين كما ذكرناه
ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلوة العيد قضاها السابع ان يضحي
بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر
هذا عني وعن من لم يضح من امتي وقال من رأى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي
فلا يأخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالشاة على اهل بيته فيأكلون ويطعمون وله ان
يأكل من الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق ذلك وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال
هي من السنة واما صلوة التراويح فهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة
وان كانت دون ركعتي العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد
وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب

عليكم

عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع
الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة
بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع والمختار
ان الجماعة افضل كما رآه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيه الجماعة وهذا
جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر واما صلوة رجب فقد روي بالاسناد
عن النبي صلعم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي ما بين العشاء والعتمة
اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب
مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة
فاذا فرغ من صلوته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي
وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة و
الروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك
انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى
ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال النبي صلعم لا يصلي احد هذه
الصلوة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن
الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبع مائة من اهل بيته ممن قد استوجب
النار فهذه صلوة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين
وان كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد لان هذه الصلوة
نقلها الآحاد ولكني رأيت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون
بتركها فاحببت ايرادها واما صلوة شعبان فليلة الخامس عشر منه يصلي
مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات
وان صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد هذا
ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمونها
هذه الصلوة صلوة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروي عن الحسن

انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلوة
في هذه الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة
ادناها المغفرة القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق
بالمواقيت وهي تسعة كصلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد
وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل
والدخول فيه ونظاير لم نذكرها فنذكر منها ما يحضرنا الآن الاولى صلوة الخسوف قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت
احد ولا لحيوته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلوة قال ذلك لما مات
ولده ابرهيم وكسفت الشمس وقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها
ووقتها اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلوة فيه مكروهة او غير
مكروهة نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع
في كل ركعة ركوعين اوايلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيامي
الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة
وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة والمايدة او مقدار ذلك من القرآن من حيث
اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس
ومقصود التطويل دوام الصلوة الى وقت الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر
مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين
وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما جلسة
خفيفة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل في خسوف القمر الا
انه يجهر فيها لانها ليلية واما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء وان
انجلى في اثناء الصلوة اتمها مخففة الثانية صلوة الاستسقاء فاذا غارت الانهار
فانقطعت الامطار وانهارت القناة فيستحب للامام ان يامر الناس اولا بصيام
ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم

يخرج بهم اليوم الرابع وبالعجايز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة
واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم
في الحاجة ولقوله عليه السلام لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع
لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم يمنعوا فاذا
اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلوة جامعة وصلى
بهم الامام ركعتين مثل صلوة العيدين من غير فرق ثم يخطب خطبتين بينهما
جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة
الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه
الساعة تفالا بتحويل الحال كذلك فعل النبي عليه السلام فيجعل اعلاه
اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك
يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة
ويدعون ارديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب
ويقول في الدعاء اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك
فدعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا
بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعاء
وسقيانك في كلها الدعوات صح
ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا
الدعاء آداب باطنة وشرايط من التوبة ورد المظالم وغيرها الثالثة
صلوة الجنازة وكيفيتها ماثورة واجمع دعاء ماثور ما روي في
الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى النبي صلعم على جنازة فحفظت من دعائه
وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله
ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما
نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا
خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من

من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك
الميت ويستحب طلب كثرة الجمع بها كالكثرة الهم والادعية واشتماله
على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له
فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد
اجتمعوا فاخبرته فقال هم اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته
اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه والاخبار
الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها
الرابعة تحية المسجد ركعتين فصاعدا سنة موكدة حتى انها لا تسقط
وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء
الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل الغرض
اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد
قياما بحق المسجد الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان وعرف
ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا
فيها فقال لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف
شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين السادسة
ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل
ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين
تمنعانك مدخل السوء وهذا في معنى هذا كل امر يبتدا به مما
له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وعند ابتداء السفر وعند
الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت وكل ذلك ماثور من فعله
من رسول الله صلعم السابعة صلوة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري

عاقبته

عاقبته وان الخير في تركه ام في الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي
الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام
الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري
وعاجله واجله فقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني
ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير
حيث كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القران وقال اذا هم احدكم
بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع
اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم
يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب الثامنة صلوة الحاجة فمن ضاق
عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه
الصلوة روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد
اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة ام القران واية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر
ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به
سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل
سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول والنعم اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى
الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا
فاجر ان تصلي على محمد وعلى اله ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله
وقال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية
الله تع وهذه الصلوة رواها ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التاسعة
صلوة التسبيح وهذه الصلوة ماثورة على وجهها ولا يختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا

ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه
قال صلى الله عليه وسلم لعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء
اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره وقديمه وحديثه خطاه
وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة
فاذا فرغت من القراءة في اول الركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا
ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا
ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمسة وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع
ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان
لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة و
عشرة بعد القراءة والباقي كما سبق عشرة عشرة ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة
قاعدا وهذا هو الحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلاثمائة
تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلة فبتسليمتين
احسن اذ ورد ان صلوة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول و
لا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه
هي الصلوات المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا
تحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلوة
السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة
فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية

كتاب اسرار الزكوة

وهو الكتاب
الخامس من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين الحمد لله الذي جعل الزكوة
للدين مبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى والصلوة على محمد المصطفى
سيد الورى وشمس الهدى وعلى اله المخصوص بالعلم والتقى وسلم كثيرا اما بعد

فان

فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف بذكرها الصلوة التي هي اعلى الاعلام
فقال اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيه
فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم
فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وينكشف ذلك في اربعة فصول الفصل الاول
في انواع الزكوة واسباب الوجوب والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة انواع النوع
الاول زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب
في مال الصبي والمجنون فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا
كاملا مملوكا على الكمال الشرط الاول كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم الثاني
السوم فلا زكوة في معلوفة الثالث الحول الرابع كمال الملك فتجب الزكوة في الماشية المرهونة
لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فانه
فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه فانه ليس
غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ
خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز
وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلث شياه وفي عشرين اربع
وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن
لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست و
ثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا
صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا
وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى
وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد استقر الحساب
ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين
ثم فيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة

ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع واما
الغنم فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضان وثنية من المعز ثم لا شي
فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلث
شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة
المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين
ثلثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم النوع الثاني زكوة المعشرات فيجب العشر في
كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من تمرا وزبيبا ولا شي فيما دونها ولا في الفواكه
والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات ولا في التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من
تمرا وزبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الاخر في
خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من زبيبا فيجب على جميعهم
ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة
بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه النوع الثالث زكوة النقدين
فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر
وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة
ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكوة ويجب على من
معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة في
التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في
الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا
لا تجب الا عند حلول الاجل النوع الرابع زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد
الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان
كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويؤدي الزكوة
من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به
شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يؤدي

زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجب الزكوة فيها بحول راس المال
ولم يستانف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة ولا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية
بينهم كساير التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا
هو الاقيس النوع الخامس الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في
ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجدها في الذهب والفضة منه الخمس و
الحول غير معتبر واما المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما
بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على اصح القولين النوع السادس صدقة الفطر وهي
واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته
يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلعم وهو منوان وثلثان يخرجه
من جنس قوته او افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا
مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوة
الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب
على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من تجب
نفقته عليه من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة عمن
تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر الفصل
الثاني في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة اما الظاهرة اعلم انه يجب على مؤدي
الزكوة مراعاة خمسة امور النية والبدار عقيب الحول وان لا يخرج بدلا باعتبار
القيمة وان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر وان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين
في البلد واما الباطنة فعلى مريد طريق الآخرة بزكوته وظايف الاولى فهم وجوب
الزكوة ومعناه ووجه الامتحان فيه وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف
مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي
الشهادة التزام للتوحيد وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى
الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما

تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة
تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه
لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب ولذلك قال الله تع ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة
شوقا الى لقاء الله تع والمسامحة بالمال اهون والمعنى الثاني هو التطهير
من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تع ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والمعنى الثالث
شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر النعمة
البدنية والمالية شكر النعمة المالية الوظيفة الثانية في وقت الاداء ومن آداب
ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب الوظيفة الثالثة الاسرار فان ذلك ابعد
من الرياء الوظيفة الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان في اظهاره ترغيبا للناس في
الاقتداء الوظيفة الخامسة ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تع
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الوظيفة السادسة ان يستصغر العطية
فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات الوظيفة السابعة ان ينتقي
من ماله اجوده واحبه اليه واحله واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا
الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي ان يكون
من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع طلب الاتقياء
المعرضين عن الدنيا المتجردين للآخرة والعلماء فان ذلك اعانة على العلم
والصادقين في التقوى والمستترين المخفين حاجتهم والمقلين او المحبوسين
لمرض او بسبب من الاسباب فيوجد معنى قوله تع للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
اي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة او ضيق معيشة والاقارب وذوي
الارحام فيكون صدقة وصلة **الفصل الثالث** في القابض واسباب استحقاقه
اعلم انه لا يستحق الزكوة الا مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة

صفات الاصناف الثمانية الصنف الاول الفقراء الفقير هو الذي ليس له مال
ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه
مسكين الثاني المساكين والمسكين الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو
مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي تسكنها والثواب الذي يستره
على قدر حاله لا يسلب اسم المساكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به
وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر ولكن
ينبغي ان يحتاط فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة
اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار واشباه ذلك مما لا ينفع
في الآخرة الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين يجبون الزكوة سوى الخليفة والقاضي
ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل الصنف
الرابع المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطائه تقرير على الاسلام
وترغيب نظرائه واتباعه الصنف الخامس المكاتبون ويدفع الى السيد سهم المكاتب وان
دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه عبده الصنف السادس
الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في
معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة
او اطفاء فتنة الصنف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف
اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو الصنف الثامن ابن السبيل وهو الذي
شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا **الفصل الرابع** في صدقة
التطوع بيان فضيلة الصدقة من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها
تسد من الجائع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم
تجدوا فبكلمة طيبة الى غير ذلك من الاحاديث والاخبار والآثار التي وردت في احياء العلوم
الذي هذا المختصر منه كالقطرة من البحر **كتاب اسرار الصوم** وهو الكتاب السادس من ربع العبادات
من كتاب احياء العلوم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل الصوم لاوليائه جنة

وجنة والصلوة على محمد قايد الخلق للحق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الآراء الثاقبة
والعقول المرجحة وسلم كثيرا **اما بعد** فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم
الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى
الله تعالى من بين ساير الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة
بعشر امثالها الى سبعماية ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقد قال الله تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير
والحساب ويتبين ذلك بثلاثة فصول الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم
بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة مراقبة اول شهر رمضان النية الامساك
عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم الامساك عن الجماع الامساك عن الاستمناء الامساك
عن اخراج القيء اما اللوازم بالافطار فاربعة القضاء فالكفارة والفدية والامساك بقية
النهار تشبها بالصايمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر
او غير عذر فالحايض تقضي الصوم وكذا المرتد ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان واما
الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به كفارة
والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا
واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحايض اذا طهرت امساك
بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل
الفطر بالتمر او الماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق
من فضايله في الزكوة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهي عادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم **الفصل الثاني** في اسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم
ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم
فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان
واليد والرجل وساير الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن
الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية وتحصيل الفطر في هذا الصوم

بالفكر

بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد
الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما
يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه
الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله قولا
ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله والانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله
قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص هو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام قال
صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وقال العلماء كم من
صايم مفطر وكم من مفطر صايم فالمفطر الصايم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام والصايم
المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن
والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر
يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من ادلة هذه الادلة التي اوردناها في هذه
الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم
الغيبة والكذب ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين
المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول
الوصول الى المقصود **الفصل الثالث** التطوع بالقيام اعلم ان استحباب الصوم يتاكد
في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها
في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول
من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم فظان الصوم وهي اوقات
فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه من رمضان
وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم ولانه ابتداء السنة فبناؤه
على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام افضل
من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلاثين من شهر حرام وفي الحديث من صام
ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله عبادة سبعماية عام

وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان
اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز
ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلاثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان
يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب و
شعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وفي
الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل
صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد
الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه وآخره و
وسطه الايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين
والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف
اجورها ببركة هذه الاوقات

كتاب اسرار الحج

وهو الكتاب السابع من ربع العبادات من كتاب
احياء العلوم بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل ونستعين الحمد لله الذي جعل البيت العتيق
مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتخصيصا ومنا والصلاة
على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا

باب فضيلة الحج

قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر
الله عز وجل ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان لله بيتا
فحجوه وقال الله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ولما سمع
بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك
المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم
من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وسلم
من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجري له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة ومن مات
في احد الحرمين لم يعرض ولا يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة خير من
الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال الحجاج والعمار وفد الله و

اخرج ابو يعلى عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان ولم يكن يصوم شهرا تاما الا شعبان فقلت يا رسول الله ان شعبان لمن احب الشهور اليك ان تصومه فقال نعم يا عائشة انه ليس نفس تموت في سنة الا كتب اجلها في شعبان فاحب ان يكتب اجلي وانا في عبادة ربي وعمل صالح
منه العارف

وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروا غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان
شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة
فظن ان الله عز وجل لم يغفر له وروي ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين
وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اجل شيء تجدونه
في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من
غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له عتق رقبة ومن طاف
اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا لعبد في الموقف
غفر لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة
غفر لكل اهل عرفة وهذا افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله حجة الوداع وكان
واقفا اذ نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية
علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين
يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه
وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج

فضيلة البيت ومكة

قال صلعم ان الله تعالى قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة
ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة
وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي
الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة وله عينان و
لسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله
كثيرا وقبله عمر رضه وقال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول
الله صلعم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى خلفه فراى عليا
رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المؤمنين
بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية

كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء وقيل فذلك هو
معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء
بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بمائة الف وصدقة درهم
بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف
بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد
واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة
لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القران من المصاحف
فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران من القلوب
فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية
ثم يخرج الدجال وينزل عيسى ابن مريم عم **فضيلة المدينة** ما بعد مكة بقعة
افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والاعمال فيها ايضا تتضاعف قال
صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد
الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة
فيها بخمسمائة وكذا سائر الاعمال وروي ابن عباس عن النبي صلعم انه قال صلوة
في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في
المسجد الحرام بمائة الف صلوة وقال صلعم لم يصبر على شدتها ولاوائها الا كنت له
شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلاثة فالمواضع فيها متساوية
الا الثغور فان المقام بها للمرابطة افضل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد
الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء
الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين
لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور سورده
فزوروها والحديث في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد
المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما

المشاهد

واما المشاهد فلا تساوي بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع
لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل بالكلية ان شاء ثم ليت شعري
هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم
عليهم السلام فالمنع في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلماء والاولياء و
الصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحيوة
من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن
قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب
من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله
والخلق عباد الله فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله وفي الخبر من بورك له في
شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه **فضيلة الاقامة**
بمكة وكراهته كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلثة احدها
خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام
الثاني تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت
مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا الثالث
الخوف من ركوب الخطايا ولا تظنن ان كراهة المقام تناقض فضل البقعة لان هذه
كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك
المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام
مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه السلام الى مكة استقبل القبلة
وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت عنك ما خرجت
وكيف لا والنظر الى عبادة والحسنات فيها مضاعفة **في شروط وجوب الحج** شرط صحة
الحج شيئان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه
وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج والوقت شوال وذو القعدة وتسع من
ذي الحجة فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهو عمرة وجميع السنة وقت العمرة واما شرط

وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت واما شرط لزومه
فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والاستطاعة واما الاستطاعة فنوعان المباشرة
وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان يكون خصبة آمنة بلا
بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الحج وطنه كان
له اهل اولم يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه
المدة وان يملك ما يقضي دونه وان يقدر على راحلة اوكراها محملا او زاملة ان
استمسك على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو ان
يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام نفسه ويكفي نفقة الذهاب
بزاملة في هذا النوع ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان
تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج
وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في سنة ولم
يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج
عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى وكان ابن عباس يقول
من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت قال الحج اما اركان التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف
والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف و
الواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام في الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا
فعليه شاة والرمي ففيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت
بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين
وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول
الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر
وافضل الحل الاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان
يتطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما و

وكيفية اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه
اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه غير محسوب
لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون
مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان
يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج
ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره
من كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث
ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته
لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه
الاوصاف كان مسمى متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة
ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن فان
لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تباعا او متفرقا وبدل دم
القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج
والعمرة فستة الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان
يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبا فان لم يجد ازارا فسراويلا
ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه
في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسها فان
احرامها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا
فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم
شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع
الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان
كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع
كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة

وكذا في الاستمناء وتحريم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس
قتل صيد البر اعني ما يؤكل وما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا
فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال لا جزاء فيه
كتاب فهم تلاوة القران وادابها وهو الكتاب الثامن من ربع العبادات
من كتاب احياء العلوم بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وكتابه المنزل
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على اهل الافكار
طرق الاعتبار بما فيه فهو الضياء والنور وفيه شفاء الصدور وقد قال
الله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب
والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه
والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه
وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة ابواب الاول في فضايل القران
واهله الثاني في اداب التلاوة في الظاهر الثالث في الاعمال الباطنة
عند التلاوة الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي وغيره **فضيلة القران**
قال صلى الله عليه وسلم من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد
استصغر ما عظمه الله تع وقال صلعم ما من شفيع افضل منزلة عند الله تع يوم القيمة
من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القران في اهاب
ما مسته النار وقال عليه السلام افضل عبادة امتي قراءة القران وقال صلعم يقول الله تع
من شغله قراءة القران عن دعائي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين
الاثار قال ابو امامة الباهلي اقروا القران ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة
فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء القران وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم
فانثروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين وقال ابو هريرة رضي الله عنه
ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله تع اتسع باهله وكثر خيره وحضرته

الملائكة

عبادة

الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق
باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل
رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك
قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال علي
بن ابي طالب رضه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام و
قراة القران **الباب الثاني في ظاهر اداب التلاوة** وهي عشرة الاول في حال القاري
وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب مستقبل القبلة غير متربع
ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وان قرا على غير وضوء
وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تع الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل لكن قدم القيام في
الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا فافضل الاحوال ان يقرا في الصلوة قايما
الثاني في مقدار القراءة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلعم
من قرا القران في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل
وقالت عايشة رضه لما سمعت رجلا يهذ القران هذا ان هذا ما قرا
القران ولا سكت وامر النبي صلعم عبد الله بن عمر ان يختم القران في سبع وكذلك
كان جماعة من الصحابة يختمون القران في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت
وابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهم والتفصيل في مقدار القراءة
انه ان كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن
ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من
المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ
الفكر في معاني القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتامل
الثالث في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيروى ان عثمان رضه
كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود

وليلة الاحد بيونس الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون
وليلة الثلثا بالعنكبوت الى صاد وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن وليلة الخميس
يختمه الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القران وتبيينه ولا باس بالنقط
والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن اللحن والخطا لمن
يقرؤه ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات
في التراويح انها من محدثات عمر رضه وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما
يصادم السنة القديمة او تكاد تفضي الى تغييرها الخامس الترتيل هو المستحب في
هيأة القراءة لان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذا نعتت
ام سلمة قراءة رسول الله صلعم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا قال ابن عباس رض
لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة
وآل عمران تهذرا سئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلوة فكان قيامهما واحدا
الا ان احدهما قرأ البقرة فقط وقرأ الآخر القران كله فقال هما في
الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى
القران يستحب له ايضا في القراءة الترتيل لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام
السادس البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلعم اتلوا القران وابكوا فان لم
تبكوا فتباكوا وقال صلعم ليس منا من لم يتغن بالقران واعلم ان طريق تكلف البكاء ان يحضر
قلبه الحزن قال صلعم ان القران نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار
الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد ثم يتأمل تقصيره فان لم يحضره
حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان
ذلك اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الآيات فاذا مر باية سجدة سجد و
اقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده
بما يليق بالاية التي قرأها مثل ان يقرأ قوله تع خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم
وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين

بحمدك

بحمدك واعوذ بك ان اكون من المتكبرين على امرك او على اوليائك الثامن ان
يقول في ابتداء قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب
الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله وبلغ رسوله اللهم
انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم و
في اثناء قراءة اذا مر باية التسبيح سبح وكبر وباية دعاء دعا وعجز وبرجاء سال
وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه قال حذيفة صليت مع
رسول الله صلعم فابتدأ بسورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية
رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح كذا واذا فرغ قال ما كان يقوله صلعم عند
ختم القران اللهم ارحمني بالقران واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة
اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته
آناء الليل والنهار واجعله لي حجة يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة لا بد
وان يجهر به الى حد يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلوته فاما الجهر
بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار
ما روي انه صلعم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر
على صدقة العلانية ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلعم سمع جماعة من
اصحابه يجهرون في صلوة الليل فصوب ذلك وقد قال عم اذا قام احدكم
من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون
بصلوته فالوجه في الجمع بين الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء فهو افضل
في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت
على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق بغيره والخير
المتعدي افضل من اللازم ولانه يطرد النوم ويزيد في نشاطه للقراءة

ويرى بجهره تيقظ نايم فيكون سبب احيايه الى غير ذلك وان اجتمعت هذه
النيات تتضاعف الاجر فان كان في عمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر
اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر العاشر
تحسين القراءة وتحسين ترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير
النظم فذلك سنة قال صلعم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن
الله تع لشي اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال عم ليس منا من لم يتغن بالقرآن
فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب
عند اهل اللغة الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل
الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم
ثم التخصيص ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري الاول فهم عظمة الكلام وعلوه
وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة
افهام خلقه الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن
ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة
كلام الله غاية الخطر الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في التفسير في قوله
يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته
منصرف الهمة اليه عن غيره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في
غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبر الخامس التفهم وهو
ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله
وذكر احوال انبيايه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره
وزواجره وذكر الجنة والنار ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا فلا مطمع في استقصاء
ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه ولذكر وقال علي رضه

لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه
على طريق التفهم لينفتح بابه اما صفات الله تع فكقوله ليس كمثله شي وهو السميع
البصير وكقوله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل
معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة
لا تنكشف الا للموفقين فكذا ينبغي للتالي ان يتامل في كل ما تلى السادس التخلي عن موانع
الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان
على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القرآن قال صلعم لولا الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب
عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت السابع التخصيص وهو ان
يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي
والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثله وان سمع قصص الاولين والانبياء
عليهم السلام علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به فما من قصة
في القرآن الكريم الا لفايدة في حق النبي صلعم وامته الثامن التاثر وهو ان
يتاثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات التاسع الترقي واعني به ان
يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تع لا من نفسه فدرجات القراءة ثلثة ادناها
ان يقدر العبد كانه يقراه على الله تع واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون
حاله عند هذا التقدير السوال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان
يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه
فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم
وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الافهام نعام و
به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه
كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله
درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة

العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه
ولكنهم لا يبصرون العاشر التبري واعني به ان يتبرا من حوله وقوته والالتفات
الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا
يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله
بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين اشهد نفسه هناك وقدر
انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان عمر رضه يقول اللهم اني استغفرك
لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل لعلك تقول عظمت الامر فيما
سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف
يستحب وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار
ومن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف في تاويل كلمات القران على
خلاف ما نقل عن ابن عباس وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فاعلم ان من زعم
ان لا معنى للقران الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار
عن نفسه ولكنه مخطي في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل
الاخبار والاثار تدل على ان معاني القران متسع لارباب الفهم قال علي كرم الله
وجهه الا ان يوتي الله عبدا فهما في القران فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة
فما ذلك الفهم وقال صلعم ان للقران ظهرا وبطنا وحشا ومطلعا ويروى وحدّاً
ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن
والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير
فاتحة الكتاب فما معناه الى غير ذلك من الاثار والاخبار فاما قوله صلى الله عليه وسلم تسليما
من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رضه اي ارض تقلني واي سماء
تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الاثار والاخبار من النهي
عن تفسير القران بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل

والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا
ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه لوجوه احدها
ان يشترط ذلك مسموعا من رسول الله صلعم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في
بعض القران الثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات
فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلعم محال
فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه الثالث انه صلعم
دعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل مسموعا كالتنزيل محفوظا
مثله فما معنى تخصيصه بذلك الرابع انه قال تع لعلمه الذين يستنبطونه
منهم اثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع واما النهي فانه
ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشي راي واليه ميل من طبعه
وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم
يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا
تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القران على تصحيح بدعته وهو
يعلم ان ليس المراد بالاية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل
ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه
ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله
على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة يكون له
غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو
الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عم تسحروا فان في السحور بركة ويزعم
ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب
القاسي فيقول قال الله تع اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه
المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا
للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة

لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فهذا النوع احد وجهي المنع من التفسير بالراي **الوجه الثاني** ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القران برايه **كتاب الاذكار والدعوات** وهو الكتاب التاسع من احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلي وبه نستعين

الحمد لله الشامل رافته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تع فاذكروني اذكركم والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فليس بعد تلاوة كتاب الله تع عبادة تودي باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعا وشروطه وآدابه ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لما قصد في الدين والدنيا والدعوات الخاصة بسوال المغفرة والاستغفار وغيرها ويتبين المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة **الباب الاول** في فضيلة الذكر وفايدته جملة وتفصيلا **الباب الثاني** في فضيلة الدعا وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله **الباب الثالث** في الادعية الماثورة **الباب الرابع** في ادعية منتخبة محذوفة الاسانيد من الادعية الماثورة **الباب الخامس** في الادعية الماثورة عند حدوث الحوادث **الباب الاول** في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار والاثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الايات قوله تع فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني واما الاخبار فقد قال رسول الله صلعم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضرا في وسط الهشيم واما الاثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل

قال

قال ابن آدم اذا ذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما **فضيلة مجالس الذكر** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملايكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تع فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السما قوموا مغفورا لكم قد بدلت سياتكم حسنات **فضيلة التهليل** قال رسول الله صلعم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له **فضيلة التسبيح والتحميد** قال رسول الله صلعم من سبح دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلعم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلعم فاين انت عن صلوة الملايكة وتسبيح الخلايق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلعم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلعم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب **الباب الثاني** في آداب الدعاء قال الله تع واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة

الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال الله تع
ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تع وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
وروي النعمان ابن بشير عن النبي صلعم انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم
قرا ادعوني استجب لكم وقال عليه السلام الدعاء مخ العبادة آداب الدعاء
عشرة الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة ورمضان
ويوم الجمعة ووقت السحر قال الله تع وبالاسحار هم يستغفرون ولقوله
صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير
فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له وقيل
ان يعقوب عليه السلام انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل
انه قام وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه
اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء الثاني ان يغتنم الشريفة قال ابو هريرة الاحوال
رضه ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول
الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد
ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات
الثالث ان يدعو مستقبل القبلة الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر
الخامس ان لا يتكلف السجع السادس التضرع والخشوع والرغبة والرهبة
قال تع انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا
وخفية السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة الثامن ان يلح في الدعاء
ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلثا واذا سال
سال ثلاثا التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدا بالسؤال قال سلمة بن
الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي

الاعلى

الاعلى الوهاب العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة و
رد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة وهو السبب القريب في الاجابة
يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام
فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا
فاوحى الله الى موسى اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى
يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة و
اكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله
عليهم الغيث فضيلة الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان
الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال
انه جاءني جبرائيل عليه السلام اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك
الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال من
قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة و
الصلوة القائمة صلى على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة
والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال رسول الله صلعم من صلى علي
في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
آله وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وروي ان
عمر ابن الخطاب رضه سمع بعد موت رسول الله صلعم يبكي ويقول بابي انت
وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت
منبرا لتسمعهم فحن الجذع حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى
بالحنين عليك لما فارقتهم بابي وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت

واني يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان
اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي وامي يا رسول الله
لقد بلغ فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ فضيلتك عنده ان اهل النار يودوا ان
يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران
اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع
منها الما صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمن اعطاه
الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حتى سريت
عليه الى السما السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك
بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احيا
الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية
فقال الذراع لا تاكلني فاني مسموم بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت
علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطي على ظهرك وادمي وجهك وكسرت
رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر
عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك كثير وما آمن
معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا
ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا
لقد والله جالستنا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت
خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك

صلى الله

صلى الله عليك وسلم **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او
ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين وقوله من يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في
كتاب الله عز وجل آيتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر له
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الآية وقال عز وجل والمستغفرين
بالاسحار وقال تعالى فسبح باسم ربك واستغفره انه كان توابا وقال صلعم من
اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من
حيث لا يحتسب **الآثار** قال خالد بن معدان قال الله تعالى ان احب الاولياء
عبادي الذي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرين بالاسحار
اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت
العقوبة عنهم وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه العجب ممن يهلك
ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار **الباب الثالث في ادعية ماثورة** مما يستحب
ان يدعو المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلوة فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله صلعم فاتيته ممسيا وهو
في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال
اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي
وترد بها الفتن وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي
بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في
الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك

حاجتي وان قصر رايي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي
الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي
ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه
احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا
هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب
بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك
الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا
حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم
الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين
بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز
وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له
سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل
شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري
ونورا في لساني ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا
في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا
من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا دعاء
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلعم لعايشة عليك بالجوامع الكوامل
قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم
واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت وما لم اعلم واسالك الجنة
وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل واسالك
من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك
عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته

رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين دعاء فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله دعاء بريدة ~~الاسلمي~~
الاسلمي روي انه قال رسول الله صلعم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا
اعلمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم
اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى
رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني دعاء
قبيصة بن المخارق اذ قال لرسول الله صلعم علمني كلمات ينفعني الله بها
فقد كبر سني وعجزت عن اشيا كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت
الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول
ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من كل غم وجذام وبرص وفالج واما
لاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك
وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام اما انه اذا وافاهن عبد يوم القيمة
لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء دعاء خليل ابرهيم
عليه السلام يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك
واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها
وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم ومن دعا
بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه دعاء عيسى عليه السلام كان يقول اللهم
اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري
واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي
صديقي ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني دعاء الخضر عليه السلام يقال
ان الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء
الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله

ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاثا اذا اصبح امن الحرق والغرق
والسرق دعاء آدم صلوات الله عليه قالت عايشة رضي الله عنها لما اراد الله ان
يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببني ربوة حمراء ثم قام فصلى
ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي
فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر
قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمته
لي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولم ياتني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي
دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه
واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وان كان لا يريدها دعاء علي كرم الله وجهه
رواه عن النبي صلعم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول اني
انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا
اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم ألد ولم اولد اني انا الله
لا اله الا انا العفو الغفور مبدي كل شيء واليه يعود اني انا الله لا اله الا
انا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم ملك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة
والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر
عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعالي المقتدر الحكيم الكريم اهل الثناء
والمجد عالم السر واخفى المقتدر الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة
اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل
انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين
الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال
وله ثواب العابدين في السموات والارضين الباب الرابع في ادعية ماثورة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه محذوفة الاسانيد يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون

احد

احوال ادب الدعا فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي الاعلى
الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث
مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء
ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه
وقل اللهم اني اسألك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم
استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن
خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم
لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك
ولا تجعلني من الغافلين اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك
وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك
علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت الى ادعية الماثورة
التي اوردت مفصلة في كتاب احياء علوم الدين وهذه بعض منها الاستعاذة
الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك
من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك
من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع
لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس
لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن
الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب
القبر ومن فتنة المحيا والممات الباب الخامس في الادعية الماثورة عن كل
حادثة من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب
المؤذن وقد ذكرناه فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا

واجعل في سمعي نورًا واجعل في بصري نورًا واجعل في خلفي نورًا ومن امامي
نورًا واجعل من فوقي نورًا واذا خرجت من المنزل فقل بسم الله اعوذ بك ان
أظلم او أُظلم او اجهل او يُجهل عليّ بسم الله الرحمن الرحيم لا قوة الا بالله
التكلان على الله واذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل
على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك فاذا خرجت
فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام
فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءًا وظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو
على كل شيء قدير واذا كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني
بفضلك عمن سواك واذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني الثوب
فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا
رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب
بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فكبر الله
ثلاثا وقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي
وربك الله ويقول هلال رشد وخير امنت بخالقك اللهم اني اسألك خير
هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر واذا هبت الريح فقل اللهم
اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها
وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون
وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه
على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله

ويقول

ويقول عند التصرف ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الحزن عسى
ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول عند ابتداء الامور ربنا
آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول
عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك
الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فاذا سمعت صوت الرعد
ورأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته قال كعب فاذا امطرت السماء
فقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب
عذاب واذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان
الرجيم واذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل واذا اصابك
هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ
في قضائك اسألك بكل اسم سميت به نفسك وانزلته في كتابك او اعطيته احدا
من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور
صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال
ذلك الا اذهب الله همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال
بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق
فيه برقية رسول الله صلعم كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته
على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا وبريقة بعضنا يشفى به سقيمنا
باذن ربنا واذا اردت النوم فتوضا اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة
ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين
ثم قل اللهم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت

عن نفسه فاذا استيقظت من نومك فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور
اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان لله والعزة والقدرة لله واصبحنا
على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين فاذا امسيت قلت ذلك الا انك تقول
امسينا وتقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من
شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي اخذ بناصيتها ان ربي
على صراط مستقيم فاذا نظرت الى المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله
وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين فان قلت ما فائدة
الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء و
الدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم
والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان
فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان
لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وان لا يسقي الارض بعد بث
البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات
هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل
الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب
والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا ولا تناقض بين هذه الامور عند
من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة حضور القلب مع الله وهو
منتهى العبادات ولذلك قال النبي صلعم الدعاء مخ العبادة والغالب على
الخلق ان لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند المام حاجة او ارهاق ملمة
والانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء
والدعاء يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي
هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء

ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله
ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب البطر في غالب الامر فان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل وهو
الكتاب العاشر من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم نحمده تعظيما
نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا
ولا نفورا ونصلي على محمد الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه
الذين اجتهدوا في عبادة الله حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا
وسراجا منيرا اما بعد فيتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول في فضيلة
الاوراد وترتيبها في الليل والنهار الباب الثاني في كيفية احياء الليل
الباب الاول اعلم ان اوراد النهار سبعة الورد الاول بين طلوع
الصبح الى طلوع قرص الشمس فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله فيقول
الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والآيات
التي ذكرت في كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وينوي به ستر العورة من غير قصد رياء
ولا رعونة فينبغي ان يكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها
في سبحة وقراءة قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام
حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم
يفتتح الدعاء بما كان يفتتح رسول الله صلعم وهو قوله سبحان ربي الاعلى الوهاب لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده
الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن
لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدي
بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع في كتاب الدعوات فيجمعها
ان قدر او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق بحاله وارق لقلبه واخف على لسانه اما

الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضايل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي
ان يكون كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثره مائة او سبعين واوسطه عشرا
وليكرر بقدر فراغه وسعة وقته فهو احسن بان يرد عليه وخير الامور ادومها
وان قل وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح
قدوس رب الملايكة والروح الرابعة قوله سبحان الله وبحمده الخامسة قوله استغفر الله
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك
الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء
وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون واما القراءة فيستحب
له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية
الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله انه لا اله الا هو وقل
اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تع لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس
آية من اول الحديد وثلثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي اهداها
الخضر الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له
ذلك فضيلة الادعية المذكورة واما الافكار فترجع بجامعه الى فنين احدهما ان
يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه
الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوايق الشاغلة له عن الخير والفن الثاني
ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلايه الظاهرة

والباطنة لتزيد معرفته بها وشكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته
بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة
يتسع الفكر فيها على بعض الخلق دون بعض ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات الورد
الثاني فيما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار
اذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع وظيفتان زايدتان في
يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح ويصلي اربعا
او ستا اذا رمضت الفصال فوقت الركعتين هو الذي اراده الله تع بقوله يسبحن
بالعشي والاشراق ووقت الركعات هو الضحى الذي اقسم الله به فقال
والضحى والليل اذا سجى واذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلوة فهذا الوقت
افضل لصلوة الضحى الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة
المنتصف وما قبله بقليل والوظيفة في هذا الوقت الاشتغال بالكسب فان كان
تاجرا ينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة
ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه فاذا
حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ
من صلوة الظهر فاذا احضر المسجد وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب
اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراد
الله تع بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات بتسليمة
واحدة كما اوردنا الخبر في باب صلوة التطوع الورد الخامس ما بعد ذلك الى
العصر ويستحب فيها العكوف في المسجد مشغولا بالذكر والصلوة او فنون الخير
الورد السادس اذا دخل وقت العصر وهو الذي اقسم الله تع به فقال والعصر
وهذا احد معنيي الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين وهو العشي
المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة
الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر الورد السابع اذا اصفرت

الشمس بان ترتفع عن الارض بحيث يختفي بنورها العبارات والبخارات التي على
وجه الارض وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب
كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون ويستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة بيان اوراد
الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب فاخر هذا الورد غيبوبة
الشفق اعني الحمرة وهو آخر من الآناء المذكورة في قوله تع ومن آناء الليل فسبح
وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تع تتجافى جنوبهم عن المضاجع وترتيب هذا
الورد ان تصلي بعد المغرب ركعتين اولا تقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلها الورد
الثاني يدخل بدخول وقت العشاء وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول
ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين
وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر
البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن
الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل والاكياس ياخذون
اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم الثالث الوتر وليوتر قبل
النوم ان لم يكن عادته القيام الورد الثالث النوم لا باس بان يعد ذلك في الاوراد
فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة
ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر
الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش
هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار
في النوم ولذلك قال رسول الله صلعم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح الورد الرابع
يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد
للتهجد وبه اقسم الله تع فقال والليل اذا سجى اي سكن وسكونه وهدوءه في هذا

الوقت

في هذا الوقت فلا تبقى عين نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم
وسئل رسول الله صلعم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهي
اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله عليه يا داود لا تقم اول
الليل ولا آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي و
اخلو بك وارفع الي حوائجك وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل
افتتح صلوته فقال اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف
فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين
خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له الورد الخامس السدس الاخير من آخر الليل وهو
وقت السحر قال الله تع وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار
وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار
وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل فاذا طلع
الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه
وادبار النجوم ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول انا اشهد
بما شهد الله به لنفسه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة
واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعلها لي عندك
ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد
للعباد بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك
لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما
محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد الاول هو المتجرد للعبادة ولو ترك
العبادة لجلس بطالا الثاني العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس
او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى مطالعة الكتب
فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها

الثالث حكمه حكم العالم لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة
وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف الرابع المحترف الذي يحتاج
الى التكسب لعياله فليس له ان يضيع ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده
في وقت الصناعة حضور السوق ولكن لا ينبغي ان ينسى الله في صناعته فيواظب
على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن الخامس الوالي مثل الامام والقاضي
والمتولي للنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع وقصد
الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس
نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل السادس الموحد المستغرق
بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه
ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته
الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات
واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم
قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك
لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازديادهم
فلا يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال تع لعلكم
تذكرون ففروا الى الله ويتحقق فيهم قوله تع واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني
ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها
الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا الباب الثاني في الاسباب
الميسرة لقيام الليل قال النبي صلعم فيما روته عائشة رضه ان افضل الصلوات
عند الله صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها
صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة
قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له

ذنب عشرين او قال اربعين سنة فضيلة قيام الليل اما من الايات فقوله تع
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الآية وقوله تع ان
ناشئة الليل هي اشد وطئا وقوله تع تتجافى جنوبهم ومن الاخبار قوله صلى الله
عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب
مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت
عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب
النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وقال صلعم ركعتان يركعهما العبد
في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتها
عليهم بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل اعلم ان قيام الليل عسير الا
على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة
١ ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ٢ ان لا يتعب نفسه
بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح ٣ ان لا يترك القيلولة بالنهار
٤ ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب واما الميسرات الباطنة
فاربعة ١ سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ٢ خوف غالب يلزم القلب ٣ ان يعرف
فضل قيام الليل ٤ الحب لله وقوة الايمان وهو اشرف البواعث كتاب اداب
الاكل وهو الكتاب الاول من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ونستعين

الحمد لله الذي قدر الارزاق والاقوات وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات
والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى
على ممر الاوقات اما بعد قال الله تع كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن
يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي
ان يترك نفسه مهملا سدى ويسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى
قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته

واغا ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظايفه وها نحن نرشد الى بعض وظايف
الدين في الاكل والشرب في اربعة ابواب وفصل في اخرها الباب الاول فيما لا بد للاكل وان
انفرد بالاكل الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل الثالث فيما يختص بتقديم
الطعام الى الزايرين الرابع فيما يختص بالدعوة والضيافة الباب الاول فيما لا بد للمنفرد
وهو ثلثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه القسم الاول
في الآداب قبل الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا
في مكسبه لم يكتسب بسببه مكروه في الشرع الثاني غسل اليد قال صلعم الوضوء قبل
الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم الثالث ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على
الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلعم الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة كان
رسول الله صلعم ربما جثى للاكل على ركبتيه الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى به على
طاعة الله تع السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام السابع ان
يجهد على تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا
على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه السلام لا ياكل وحده القسم الثاني
في ادب حالة الاكل وهو ان يبدا باسم الله في اوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع
كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله واما الشرب فادبه
ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلعم مصوا
الما مصا ولا تعبوا عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قايما ومضطجعا القسم الثالث
ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل
ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من اكل ما يسقط من المايدة عاش
في سعة وعوفي في ولده وان يشكر لله تع الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة
في الاكل وهي ستة ان لا يبتدي بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن
او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى الثاني ان لا يسكتوا على الطعام
فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلموا بالمعروف الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة

فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما اكله الرابع ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل الخامس
ان غسل اليد في الطست لا باس به ولا يتنخم فيه اذا كان معه غيره ولا باس به اذا
كان وحده السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم بل يغض بصره ولا
يمسك قبل اخوانه الباب الثالث في ادب تقديم الطعام الى الاخوان الزايرين
تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضه اذا قعدتم
مع الاخوان على المايدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من
اعمالكم وقال الحسن كل نفقة ينفقها على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب
عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحي ان يساله وقال صلعم
لا تزال الملايكة تصلي على احدكم ما دامت مايدته موضوعة بين يديه
حتى ترفع وفي الخبر يقول الله تع للعبد يوم القيمة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني
فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم
تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وآداب التقديم ترك التكلف اولا وتقديم
ما حضر فان لم يحضر شي ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجل ذلك فيشق على
نفسه دخل بعضهم على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين
لاطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت
بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف
يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وادب الزاير ان لا
يقترح ولا يتحكم بشي بعينه فربما يشق على المزور احضاره وروي عن الاعمش
عن ابي وايل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز
شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج
سلمان ورهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي
قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة
الباب الرابع في آداب الضيافة ووظايف الآداب فيها ستة الدعوة

اولاً ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف **فضيلة**
الضيافة قال صلعم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف
فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال عليه السلام لا خير فيمن
لا يضيف وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا اراد ان ياكل خرج
ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق
نيته دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا **فصل** حكي عن ابراهيم النخعي
انه قال الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول الله صلعم واسناده
غريب وقد تعارضت عن ابي عمرو وجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك
تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك
بعادات البلاد واحوال الاشخاص **قال** علي رضه من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله
عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه
ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمرا لم يجد في جسده شيئا يكرهه ولحم البقر
داء ولبنها شفاء وسمنها دواء وقد اره والسواك يذهب البلغم **قال** الشافعي
اربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس
الكتان واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على
الريق وكثرة اكل الحموضة واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب
والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار القبلة **كتاب** آداب النكاح وهو
الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم
عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا
وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا والصلوة على محمد المبعوث
بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلوة لا تستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا
وسلم كثيرا **اما بعد** فالقدر المهم من احكام النكاح ينكشف في ثلاثة ابواب
١ في الترغيب فيه وعنه ٢ في الآداب المرعية في العقد والعاقدين ٣ في الآداب

المعيشة

المعيشة الباب الاول في الترغيب في النكاح اعلم ان العلماء زعم بعضهم انه
افضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي
لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى
الوقاع وقال آخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان فضيلة من
قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ثم نشرح النكاح فوائد
وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم
الترغيب في النكاح اما من الآيات قال الله تع وانكحوا الايامى منكم وهذا امر
وقال تع ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي
عنه ومدح اولياءه بسؤال ذلك في الدعاء والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية وقيل ان الله لم يذكر في كتابه من
الانبياء الا المتأهلين قالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل
انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى فم
سينكح اذا نزل من السماء الى الارض ويولد له اما الاخبار فقوله صلعم
النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تكثروا
فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط واما الآثار فقد قال عمر رضه
لا يمنع النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين
مذمومين وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى تزوج **واما** ما جاء
في الترغيب عن النكاح فقد قال صلعم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ
الذي لا اهل له ولا ولد وقال عليه السلام ياتي على الناس زمان يكون
هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه
ما لا يطيق عليه فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وسئل
ابو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن
والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال الحسن اذا اراد الله بعبد

خيراً لم يشغله باهل ولا مال تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم
على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل معناه ان يكونا له ولا يشغلانه
وهو اشارة الى قول ابي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال و
ولد فهو عليك مشؤوم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقاً الا
مقروناً بشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقاً ومقروناً بشرط فلنكشف
عنه الغطاء بحصر آفات النكاح وفوايده **آفات النكاح وفوايده** وفيه فوايد خمس
الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام
بهن **واما** آفات النكاح فثلاث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان
ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات الآفة الثانية القصور عن القيام
بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن الآفة الثالثة ان يكون
الاهل والولد شاغلاً له عن الله تعالى وجاذباً الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة
للاولاد بكثرة جمع المال **فان قلت** فمن ابى الآفات فالافضل له التخلي لعبادة الله
ام النكاح **فاقول** يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعاً من التخلي لعبادة الله من حيث العقد
ويكون من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضاً افضل **الباب
الثاني** فيما يراعى حالة الوقت اما اركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة
الاول الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضاء المرأة ان كانت ثيباً بالغة
او كانت بكراً بالغة ولكن يزوجها غير الاب والجد **الثالث** حضور شاهدين ظاهري
العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول
به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين
ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما **الباب الثالث**
في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على
الزوجة **اما** الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امراً في
الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم

والقسم

والقسم والتاديب بالنشوز وفي الوقاع والمفارقة بالطلاق **الادب**
الاول الوليمة وهي مستحبة قال انس رضه راى رسول الله صلعم على عبد الرحمن
بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب
فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
صفية بسويق وتمر **الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحماً
عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف والثالث ان
يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة الرابع ان لا يبسط
في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الخامس الاعتدال في
الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوايلها ولا يبالغ
في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلعم ان تتبع
عورات النساء ولان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن
اثم وقال علي رضه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة
في محلها فلا بد منها قال صلعم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي المؤمن
على ما حرم الله عليه وقال عم اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله
اغير مني ومن غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن السادس الاعتدال
في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله السابع ان يتعلم المتزوج
من علم الحيض ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة وما
يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم و
اهليكم ناراً فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة والجماعة الثامن اذا كان له نسوة
ينبغي ان تعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان ظلم امرأة بليلتها قضيها فان
القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول

ذكره وقد قال رسول الله صلعم من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى
وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل التاسع
في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا
او من الرجل فلا تتسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحهما فلا بد
من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اما اذا كان من المراة خاصة فالرجال
قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغي ان
يتدرج فيتقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره
في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت فان لم ينفعها ضربها
ضربا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر لها عظمها ولا يدمي لها جسما ولا يضرب
وجهها فذلك منهي عنه العاشر في آداب الجماع ويستحب ان يبدا بسم الله تع
ويقرا قل هو الله احد اولا ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها
ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج من صلبي وقال عليه السلام لو ان احدهم
اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك
ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا الآية
ثم لينحرف عن القبلة فلا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه
واهله بثوب كان رسول الله صلعم يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة
عليك بالسكينة ويكره له الجماع في ثلث ليال من الشهر ليلة اوله واخره والنصف
منه يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ولا ينبغي ان ياتيها في الحيض
ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث
الجذام في الولد الحادي عشر في آداب الولادة وهي خمس الاول ان لا يكثر فرحه
بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان

ان يكون

ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم
من كانت له ابنة فادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ
الله عليه كانت ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضيه قال رسول
الله صلعم ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا كنت انا وهو في
الجنة كهاتين الثاني ان يؤذن في اذن المولود روي عن ابيه قال رايت
رسول الله صلعم اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمة رضيه الادب الثالث
ان تسميه باسم حسن فذلك حق للولد وقد قال رسول الله صلعم اذا سميتم
فعبدوا وقال عليه السلام احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن والسقط
ينبغي ان يسمى الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس
بالشاة ان يكون ذكرا او انثى وروي انه عليه السلام عق عن الحسن بشاة
الادب الخامس ان يحنكه بتمرة او حلاوة روي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضيه انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت به رسول الله صلعم
فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه الثاني عشر في الطلاق وليعلم انه
مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله تع وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء
بالباطل ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبه او بضرورة من جانب المؤذي
قال الله تع فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة الفراق ثم
ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان
الطلاق في الحيض والطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام فان فعل ذلك فليراجعها الثاني
ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلث لان الطلقة الواحدة تفيد المقصود ويستفيد بها
الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة الثالث ان يتلطف في التعلل
بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ويطيب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر وسنتحدث وذلك
واجب مهما لم يسلم لها مهرها في اصل النكاح الرابع ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح
فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم القسم الثاني وهذا الباب النظر في

الادب ٢

الادب ٥

ليعلم ٥

حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها
طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق
الزوج عليها اخبار كثيرة قال رسول الله صلعم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت
الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان
ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلعم تستاذن في النزول الى ابيها
فقال صلى الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال اطيعي زوجك فدفن
ابوها فارسل رسول الله صلعم اليها يخبرها ان الله عز وجل قد غفر لابيها بطاعتها
لزوجها وقال عليه السلام اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت
زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلعم
النساء فقال حاملات والدات وضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى
ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال عم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء
فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وقال صلعم
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها فحقوق
الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة
بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف
كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع
والضر ولا نصبر على النار والقول الجامع في اداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في
قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم
الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضره وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه
في نفسها وماله لا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية
دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف
الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همها صلاح شانها وتدبير بيتها
مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا

لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما
رزق الله ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها
مستعدة في الاحوال كلها ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر
عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلعم انا وامراة
سفعاء الخدين كهاتين امراة امت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا
او ماتوا وقال عليه السلام حرم الله على كل ادمي دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني — يميني ماه
فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال يا محمد هذه
امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن
الذي بلغ فشكر الله لها ذلك **كتاب آداب الكسب والمعيشة** وهو الكتاب الثالث
من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي كور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا
في ابتغاء فضله ويتخلصوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله
الذي يصدر المؤمنون من حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى اله واصحابه
الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم كثيرا **اما بعد** فان رب الارباب
ومسبب الاسباب جعل الاخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل و
الاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاش بل المعاش
ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الاخرة والناس ثلاثة رجل شغله معاشه
عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب
هو الاعتدال هو الثالث الذي شغل معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن
ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض طلب
الدنيا وسيلة الى الاخرة وذريعة ما لم يتادب في طلبها باداب الشريعة ونحن
نورد اداب التجارات والصناعات في خمسة ابواب ان شاء الله ١ في فضل
الكسب والحث عليه ٢ في علم صحيح البيع والشرى والمعاملات ٣ في بيان العدل في — المعاملة

ع في بيان الاحتياط في شفقة التاجر على دينه **الباب الاول** في فضل الكسب والحث عليه اما
من الآيات فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها
معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها واما الاخبار فقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر
الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء واما الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه
يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال
رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به
وقال عمر رضه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء
لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان اصحاب رسول الله صلعم يتجرون في البحر والبر ويعملون في نخيلهم
والقدوة بهم **الباب الثاني** في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض
والشركة اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل
مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب وعلم العقود كثير لكن
هذه الستة لا ينفك المكاسب عنها **العقد** الاول البيع وهو احل الله وله ثلثة اركان العاقد
والمعقود عليه واللفظ الركن الاول العاقد ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي
والمجنون والعبد والاعمى الركن الثاني المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد المتعاقدين
الى الآخر عينا كان او ثمنا فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع
كلب ولا خنزير ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع عاج والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس
بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتنقية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس
المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح ولا باس ببيع الدهن الطاهر
في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو
في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه
بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها
اذا انفصلت من الظبية في حال الحيوة الثاني ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات و

الفارة

الفارة والحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك الى انتفاع ارباب الحلق
في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والاسد
وما يصلح لصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لتحمل عليه ويجوز بيع الببغاء والطاوس
والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض
مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهي رسول الله صلعم
عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا
بيع الصور المصنوعة من الطين للحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان
كسرها واجب شرعا وصور الاشجار يتسامح بها فاما الثياب والاطباق التي عليها
صور الحيوانات يصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة
رضي الله عنها اتخذي منه نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز
الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا
من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك
وجب استئناف العقد الرابع ان يكون المعقود عليه مقدورا تسليمه شرعا وحسا لا يصح
بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على
ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع وكذا بيع الام
دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما
وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر و
الوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي
شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه
من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذه من اي طرف شئت فالبيع باطل
وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان
يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك جايز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل
والوزن والنظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان

ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة
ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة
من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار واما العلم
بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب الا اذا سبقت رؤيته منذ
مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان في هذا اسد المذهبين فلا يجوز بيع الثوب
في المسوح اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر
فيها السادس ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط
خاص فقد نهى رسول الله صلعم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما
اشتراه او باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية و
قبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله اما بيع الميراث والوصية والوديعة وما
لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جايز قبل القبض الركن الثالث لفظ العقد ولا بد من
جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو قال اعطيتكه
بهذا بدلا من قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع فيما بينهما ولا ينبغي ان
يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيئا آخر وان يحمل المبيع الى داره
او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته فكل ذلك فاسد مهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل
دون التلفظ باللسان لم ينعقد بيع عند الشافعي اصلا رحمه الله وانعقد عند ابي حنيفة رحمه الله ان
كانت في المحقرات **العقد الثاني** في عقد الربوا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب
الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ
لا ربوا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسية والفضل اما النسية فان
لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض
في المجلس وهذا احتراز من النسية وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء
الدنانير المضروبة به حرام من حيث النسا ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل
اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه في ثلاثة امور في بيع

المكسر

المكسر بالصحيح فلا يجوز المقابلة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان
يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع
الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث
في المركبات من الذهب والفضة والدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار
الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان نقدا جاريا في البلد فانا نرخص
في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس اذا لم تكن
رايجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كانت
نقدا رايجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها
ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا **العقد الثالث** السلم وليراع التاجر فيه عشرة شروط الاول ان يكون
راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان
اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين الثاني ان يسلم راس المال
في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم
فيه مما يمكن تعريف اوصافه مثل الحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف واشباهها
ولا يجوز في المركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمولة والخفاف والنعال
المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من
اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي
وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف يتفاوت فيه القيمة تفاوتا لا يتغابن
بمثله الا ذكره فان ذلك هو القايم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما
ان كان موجلا فلا يوجل الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك
قد يتقدم ويتاخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه
عدمه غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا ساير الفواكه فان
كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهله ان شاء او
يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به

كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة
هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك
التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية
حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام
مهما كان راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس
المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربوا العقد الرابع الاجارة وله ركنان الاجرة والمنفعة
فاما العاقد واللفظ فيعتبر ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان تكون معلومة
موصوفة بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم
الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور جرت العادة بها وهو كرا الدار بعمارتها فذلك
باطل اذ قدر العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان يأخذ الجلد بعد السلخ واستيجار
حمال الجيفة بجلدها واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك
كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان
يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر
اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة
بالاجارة وهي العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع
به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة
ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات العقد الخامس القراض
وليراع فيه ثلثة اركان الركن الاول راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما
الى العامل الركن الثاني الربح وليكن معلوما بالجزئية بان يشترط الثلث او النصف
او ما شاء الركن الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة
عليه بتعيين وتاقيت العقد السادس الشركة وهي اربعة انواع ثلثة منها باطلة الاولى
شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك في كل مالنا وعلينا ومالا لهما
ممتازا فهي باطلة الثانية شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك في اجرة

العمل

العمل الثالثة شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما شوكة وقول مقبول فيكون
من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهي باطلة وانما الصحيح العقد الرابع المسمى
شركة العنان وهو ان يختلطا مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة ويأذن
كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المال
ولا يجوز ان يتغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل
الملك عن الملك والصحيح انه يجوز الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد
بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام
من حيث لا يدري الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم ان
المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على
ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي مقتضيا فساد العقد وهذا
الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل القسم
الاول فيما يعم ضرره كالاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار
وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام
اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره القسم الثاني ما يخص ضرره
المعامل وكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم والضابط الكلي فيه الا يحب لاخيه الا ما يحب
لنفسه واما ما يصلح تفصيله فهي اربعة امور الاول ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها الثاني
ان يظهر جميع عيوب المبيع الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط
فيه وفي الكيل الرابع ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا الباب الرابع في الاحسان
في المعاملة وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو
يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة
وهو يجري من التجارة مجرى الربح وينال رتبة الاحسان باحد ستة امور الاول
في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن بمثله في العادات فاما اصل
المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما الثاني

الثاني في احتمال الغبن فالمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيا من فقير فلا
باس ان يحتمل الغبن ويكون به محسنا الثالث في استيفاء الثمن وساير الديون
والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال ومرة بالمساهلة
في طلب جودة النقد الرابع في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك
بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه الخامس ان يقيل من يستقيله
فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع السادس ان يقصد في معاملته جماعة
من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة
الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته لا ينبغي للتاجر
ان يشغله معاشه عن معاده قال تع ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس
في الدنيا نصيبك منها في الاخرة فانها مزرعة الاخرة فلينو به الاستعفاف عن
السؤال وكف الطمع عن الناس والقيام بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات
والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق ولا يمنعه سوق الدنيا عن
سوق الاخرة واسواق الاخرة المساجد قال الله تع رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فينبغي ان يجعل اول النهار الى
وقت دخول السوق لاخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد ولا يكون
شديد الحرص على السوق والتجارة ولا يكون مقتصرا على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع
الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة
اجتنبه وينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب
ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب في كل فعل وقول كتاب الحلال والحرام وهو
الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذي حمى الانسان بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف و
والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه
عليه من طلب القوت الحلال والصلوة على محمد النبي الهادي من الضلال وعلى آله

جز

خير آل وسلم كثيرا اما بعد فقد قال صلعم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عن ابن
مسعود رضه وهذه الفريضة من بين ساير الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها
على الجوارح فعلا اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء
الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد خبثته الايدي العادية
وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش والنبات لم يبق
وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا
بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وما
بينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما
كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء
عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه في
التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في
سبعة ابواب ان شاء الله تعالى الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة
الحرام ودرجات الحلال والحرام الثاني في مراتب الشبهات وتميزها عن الحلال والحرام
الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام الرابع في كيفية
خروج التايب عن المظالم المالية الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل
منها وما يحرم السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم السابع في ما يتفرقه
الباب الاول في بيان الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمومة الحرام وبيان
اصناف الحلال واصناف الحرام فضيلة الحلال ومذمة الحرام قال الله تع كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال
وقال الله تع لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والايات الواردة في الحلال والحرام لا
تحصى وروى ابن مسعود رضه عن النبي صلعم طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما
قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب
علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله

من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف في درجة الشهداء ولما
ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام
وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب فاني يستجاب لذلك واما
الآثار فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت
لقوم فاعطوني فادخل اصابعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج
ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وكذلك شرب عمر
رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقيل لابراهيم بن ادهم
الا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت وقال سهل التستري لا يبلغ
العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة
واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى
الموت وقيل من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل
ران على قلوبهم اصناف الحلال ومداخله اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه
كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها
وكان لا ياكل من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال
والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الآن نشير الى مجامعه في سياق تقسيم
وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في اكتسابه القسم الاول الحرام لصفة
في عينه كالخمر والخنزير وغيرها القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد وفيه يتسع
النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره
كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي
يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط
عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة
عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما
ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا التقسيم ستة اقسام الاول ما لا

يؤخذ

ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء
من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة
من الآدميين فاذا انفك عن الاختصاصات ملكه آخذه وتفصيل ذلك في كتاب
احياء الموات الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وذلك حلال
للمسلمين الثالث ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه
وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه
الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين
وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع
به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال
اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث
او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات السادس ما يحصل بغير
اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمسة
على وجه حلال ثم كان بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض
فهذه مجامع مداخل الحلال اومانا الى جملتها ليعلم المريد بانه ان كانت طعمته متفرقة
لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور درجات الحلال والحرام اعلم ان الحرام
كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب من بعض
فنقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب التفسيق باقتحامه
وتسقط العدالة به وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين
وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على
الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله
ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به وهذا ورع المتقين قال النبي
صلعم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس الرابعة

ما لا باس به اصلاً ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله
وعلى غير نية التقوي به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المتصلة له كراهية
او معصية والامتناع منه ورع الصديقين الباب الثاني في مثارات الشبهات
قال رسول الله صلعم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من
الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع
في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام
الثلثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا
بد من بيانها ومثارات الشبهة منها الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك
لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين غلبة تصدر عن دلالة معتبرة
كان الحكم للغالب المثار الثاني للشبهة منشاه الاختلاط وذلك ان يختلط الحلال والحرام المثار فح
الثالث للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية المثار الرابع الاختلاف في الدلالة فان
ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب بحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة
فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى
سببه في علم الله وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة
او لتعارض التشابه القسم الاول مثل تعارض العمومين من القران او السنة او تعارض
قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب والاصل المعلوم قبله
ان لم يظهر ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل
جاز الاخذ به ولكن الورع تركه فاتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي
والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل
علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اسهلها عليه
او اوسعها بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلاً نعم
ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد
فلقد كان المفتون يفتون بحل اشيا لا يقدمون عليها قط تورعاً عنها وقد روي

و

من الشبهة فيها فمن المهمات التورع من فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى
المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترناه انه ذلك حرام وهو اقيس
قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة رح
كان الورع فيه مهما القسم الثاني ان يتعارض العلامات الدالة على الحرمة والحل
فانه ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل
من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب
على انه حرام فيتعارض الامر فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب القسم
الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصى بمال
للفقها فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدا التعلم منذ يوم او
شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب
وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه
اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر ميله
الى احدهما وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية
الفقهاء والعلماء في بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الاخر زايد
وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله و
ليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل
الضخم وما فوق ثلاثة ارطال زايد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق حده فليدع الورع
ما يريبه الى ما لا يريبه والوجه في مثل هذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال دع
ما يريبك الى ما لا يريبك الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها
اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية واردت ان تشتري منه او تتهب فليس
لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا يتحقق حله فلا اخذه بل افتش عنه وليس
لك ان تترك البحث فتاخذ كل ما لا يتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة
ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواضع

الريبة ومثارها اما ان يتعلق بالمال او بصاحب المال **المثار الاول** احوال المالك
وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة احوال ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما
بنوع ظن يستند الى دلالة. **الحالة الاولى** ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي
هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه
كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وانما ذكرنا الآن حكم الظاهر فنقول ان
المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري منه شيئا فلا
يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على الاخذ وليس لك
ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذا وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم
بعينه وان بعض الظن اثم. **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة
اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده
دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله فاذا اردت ان تشتري
من مثل هذا شيئا او تاخذ منه هدية او يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عندك
لم تظهر لك منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها
مثل هذه الدلالة فاورثت ذلك ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله
صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب
الحالة الثالثة ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في
حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر
ويجوز ان يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى
والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن
الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء
قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي
المثار الثاني ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان
يختلط الحلال والحرام كما اذا طرح في السوق احمال من طعام غصب واشتراها

اهل

اهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة والسوق ان يسال عما يشتريه الا ان
يظهر انه اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من
الورع والدليل على انه لا يجب السؤال اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء
في الاسواق وفيها دراهم الربوا وغلول الغنيمة وغيرها. **الباب الرابع** في كيفية خروج
التائب عن المظالم المالية اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز
الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما. النظر الاول في كيفية
الاخراج والتمييز اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة
او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون
في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون في
اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان كان في المتماثلات او كان شائعا
في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها
او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير
فلا يخلو اما ان كان معلوم القدر او مجهول فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان
قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ
باليقين والآخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات
الصلوة فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي
يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال
تجارة فسد بعضه فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس
يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقطع القدر
المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخراجه
وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اكد لانه صار مشكوكا
فيه وكذا ان امسكه اعتمادا على انه في يده ليكون الحل غلب عليه وقد صار ضعيفا
بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه

حلال وليس احد الجانبين باولى من الآخر وليس تبين في الحال ترجيح وهو من المشكلات
النظر الثاني في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون له مالك معين
فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غايبا فينتظر حضوره او الايصال اليه فان
كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع له فوايده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين
وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدرى انه مات عن وارث ام لا وهذا لا يمكن الرد
لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم فان
قدر فكيف يفرق دينار واحد مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به و
اما ان يكون من اموال الفي والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك
الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور
التي يشترك في الانتفاع بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول كل من يمر بها
لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولى ذلك القاضي فليسلم اليه
المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن
لو ابتدا به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمانا قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد
عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود
الصرف واما عين الصرف فانما يطلب لعمارة دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز
عن صرف هو القدرة اولى عند القدرة عليه **فان قيل** ما دليل التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق
بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جايز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده
درهمان فلما علم انهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى
لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك وجه واحتمال ولكنا اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس
اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته
بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من
بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصحابة الا ترون ما يقول صاحبكم
ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضه باذن رسول الله صلعم فلما حقق الله صدقه جاء

ابو

ابو بكر رضه بما قامرهم فقال عم هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله تع وكان قد نزل
تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فان روي
ان ابن مسعود رضه اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقد له الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق
بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي واما القياس فهو ان هذا المال مردد
بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى
خير اولى من القايه في البحر فانا اذا رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم
يحصل منه فايدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير
حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح
ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القايل لا
يتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من
المظلمة لا الاجر **الباب الخامس** في ادرات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم
ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان
من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذ هل يستحقه اذا اضيف
الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل
سوى الاحيا وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر
والفي وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي تؤخذ
بالشروط والمعاقدة والقسم الثاني الماخوذ من المسلمين ولا يحل منه الا قسمان
المواريث وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي
لها اما الصدقات فلا توخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين
والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرار او صلة او
خلعة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له على الجزية او على المواريث او على
الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين
او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها

للمصالح وخمسة لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة
بما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا يكون الجزية الا
مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او اربعة دنانير فانه ايضا في محل
الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي يؤخذ منه
مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا
ولا امرأة اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية جمع ضرب الجزية ومقدارها وفي
صفة من تصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك الثاني في المواريث والاموال
الضائعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما او اكثره او اقله
وقد سبق حكمه فان لم يكن فيجب النظر في صفة من يصرف بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم
في المقدار المصروف الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها وهو شرط الواقف حتى لا يكون
المأخوذ الا موافقا في جميع شرائطه الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط
اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في ان الغالب انه
احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القنى والانهار
وبناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه
السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة
ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه
سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله السادس ما يكتب
على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال الفيئة والمصادرات وهو الحرام المحض الذي لا شبهة
فيه السابع ان يكتب على عامل يتابع السلطان فان كان لا يعامل غيرهم فماله كمال خزانة السلطان وان
كان معاملته مع غير السلطان اكثر فما يعطيه من الحرام فالحلال يتطرق اليه العوض وقد سبق حكم الثمن
الحرام الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان
دخل الا من الحرام فهو محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل
ان يكون ما يعطاه من الحرام وهو الاكثر لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في

ايديهم من حرام او غير وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله
ان ياخذ وقال اخرون لا يحل ان ياخذ ما لم يتحقق انه حلال فلا تحل شبهة اصلا وكلاهما
اسراف والاعتدال ما قضينا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان
الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق ولقد احتج من جوز الاخذ من مال
السلطان اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام بما روي عن جماعة من
الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد
الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله وانس والمسور بن مخرمة
فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد الملك وابن عمر وابن عباس من الحجاج
واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد
الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ ما يعطيك
السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطاء تورعا
ومخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل والنظر الثاني في قدر المأخوذ وصفة الاخذ لنفرض المال من
اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة
او خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه واشتراه فله ان يعطي ما شاء وانما
النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة وهو محتاج اليه
عاجز عن الكسب واما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه وان كان العلماء قد
اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا
جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا
فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت
المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير
والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم
يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين
يحرسون المملكة بالسيوف ويدخل فيهم الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان

الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان يتعلق بالدين او
بالدنيا وبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغني احدهما عن
الآخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون
له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان ومصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا
لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم

اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية
وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم ولا تراهم ولا يرونك اما الحالة
الاولى وهي الدخول عليهم فمذموم جدا في الشرع فاما الاخبار فلما وصف رسول الله صلعم الامراء الظلمة
قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزل
سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب يعمهم ان نزل لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم
سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه
ولم يرد علي الحوض وفي الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا
ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضه واما الآثار فقال حذيفة اياكم
ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدهم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول
ما ليس فيه فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم
انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب امر السياسة فيجب عليه الاجابة
الثاني ان يدخل عليهم في رفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني
ولا يدع نصيحة الحالة الثانية ان يدخل عليه السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما
القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة على اكرامه الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه
واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد واما امس
فلا يجدون لذته وانا واياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم الباب
السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتوى مسئلة سئل عن مال

اوصي

اوصي به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط
الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي مسئلة ما وقف على
رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصي للصوفية لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم
فللغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح
مسئلة سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض
وقد حرم احدهما دون الآخر فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما
آجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب
المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما التوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة
الاول ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك اما ان يكون المصروف اليه محتاجا او عالما او نسيبا بنسب ديني
او صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ انه يعطي لحاجته لا يحل له ان اخذ ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطي
لشرف نسبه فلا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له ان ياخذ الا ان
يكون في العلم كما يعتقد المعطي وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذ ان كان فاسقا
في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه بقيت القلوب
مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق الثاني ما يقصد به في العاجل غرض
معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها واما ما يجري
عند الوفاد الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة
بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي
في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين
على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذ وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان
كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستئجار عليه فما ياخذ
حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه الى يد السلطان ولك
دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض
كذا او ينعم علي بكذا وافتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل في الخصومة

بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام فان كان مقصوده تحصيل بكلمة لا تتعب
فيها ولكن تكبر وذي الجاه وتكبرا بفعله من ذي الجاه تعنيه كقوله للبواب لا تغلق دونه باب
السلطان او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا محرام الرابع ما يقصد به المحبة
وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين فذلك مندوب اليه في الشرع قال صلعم تهادوا تحابوا
وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل الفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين
تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها
الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا للمحبة ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل
بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه
فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف والاخذ مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها
هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية
مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لا يهدي اليه
فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية واية انه لا يبتغي المحبة انه لو ولي في الحال غيره لسلم المال
الى غيره فهذا اتفقوا على ان الكراهية فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما قال صلعم يأتي على الناس
زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرئ ليتعظ به العامة وسئل ابن مسعود
عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فتهدي له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة
لا تتعب فيها وشفع مسروق شفاعة فاهدي له جارية فغضب وردها وقال لو علمت
ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها كتاب اداب الصحبة والاخوة والمعاشرة مع
الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم وبه
عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا والف بين قلوبهم
فاصبحوا بنعمة الله اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخوانا وفي الاخرة رفقاء
وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى اله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا
واحسانا اما بعد فان التحاب في الله والاخوة في دينه من افضل القربات ولها شروط بها يلتحق
المصاحبون بالمتحابين في الله ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة ابواب الاول في فضيلة
الالفة والاخوة في الله الثاني في حقوق الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار الباب الاول في فضيلة الالفة

والاخوة

الالفة والاخوة اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق توجب التحاب والتوالف وسوء الخلق يثمر التباغض
والتحاسد وحسن الخلق هو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلعم اذ قال وانك لعلى خلق عظيم
وقال النبي صلعم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا
يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال خلق حسن وقال صلعم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
وقال صلعم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن الاثار قال علي كرم الله وجهه عليكم بالاخوان فانهم
عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال ابن المبارك
عند موته اللهم انك تعلم اني اذ كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك وقال
الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم
فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير
موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الحسن رحمه الله مصارمة الفاسق قربان الى الله بيان
معنى الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به
الى محبوب ومقصود ما وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون
مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تع
فهذه اربعة اقسام القسم الاول وهو حب الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون هو
في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له
القسم الثاني ان تحبه لتنال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره وما يحب لغيره كان
ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا
٢ في الافتم يطعم ولا يلبس القسم الثالث ان تحبه لغيره وذلك الغير يرجع الى حظوظ الاخرة كمن يحب استاذه و
شيخه فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته
رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى عم من علم وعمل وعلم
فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء القسم الرابع ان يحبه لله وفي الله لا لينال منه علما او
عملا ليتوسل او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهذا القسم ايضا ممكن
فان من اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل ما يتعلق بالمحبوب ولو من بعد حتى قال

وقال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال
العشاق وكذلك حب الله سبحانه وتعالى اذا قوي وغلب على القلب حتى انتهى الى حد الاستهتار
فيتعدى الى كل موجود سواه فانه اثر من اثار قدرته ومن احب انسانا احب صنعته وخطه وجميع افعاله ولذلك
كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تارة
يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمه
وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا
من التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح
بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب وقد
انتهت المحبة باقوام الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا
بما فيه رضاه بيان البغض في الله اعلم ان من يحب في الله لانه مطيع في الله فان عصاه فلا
بد ان يبغضه لانه عاص وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات فانك تقول كيف اجمع
بين البغض والمحبة وهما متناقضان فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا تناقض في
الحظوظ البشرية فانه متى اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه
من وجه وذلك باب يعطي كل صفة حظها في الحب والبغض والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة
ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك
وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور
فاي عمل عملت لي قال موسى عليه السلام الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل
عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله الباب الثاني في حقوق
الاخوة والصحبة اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين فلاخيك عليك
حق في المال بالنفس وباللسان وبالقلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص والوفاء والتخفيف وترك
التكليف والتكلف كما في النكاح وذلك يجمعه ثمانية حقوق الحق الاول قال رسول الله صلعم مثل الاخوين
مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلث مراتب ادناها ان
تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك الثانية ان تنزله منزلة نفسك

قال

قال الحسن كان احدهم يشق ازاره بينه وبين اخيه الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك
وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى
بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون اول
مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحياة في هذه اللحظة وكان ذلك سبب
نجاة جميعهم في حكاية طويلة الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل
السؤال قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله يكون نسي فان لم يقضها
فكبر عليه واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم الله الحق الثالث على اللسان بالسكوت تارة وبالنطق
اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته الا اذا وجب النطق في امر بمعروف
او نهي عن منكر فانه ذكر احسانه اليه في التحقيق الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي
السكوت عن المكاره تقتضي النطق ايضا بالمحاب وقد قال صلعم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار
لان ذلك يوجب زيادة في الحب الحق الخامس العفو عن الزلات فعليك والتلطف في نصحه بما يقيم اوده الحق السادس
الدعاء للاخ في حياته وبعد مماته الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته
الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف و
ذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا
من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع له بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا
بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل
مؤنته وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه واعلم ان الناس ثلثة رجل
تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا
على ان تنفعه وهو الاحمق او السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب ومن التخفيف وترك التكليف
ان لا تعترض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين
اربعة معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان
نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم لان ذلك ان تفاوت الطبع الى الرياء والتحفظ
لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض

الصحابة ان الله تعالى نعى المتكلفين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من
التكلف **الباب الثالث** في حقوق المسلم والرحم والجوار واعلم ان رابطة الاختلاط بين افراد
الانسان اما القرابة او اخوة الاسلام واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب او الدرس
واما الصداقة والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن
حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجوار يختلف بحسب قربه
من الدار وبعده **حقوق المسلم** وهو ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس
ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه
ويحفظ بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذكره في اخبار
وآثار **ومنها** ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور **ومنها** ان لا يؤذي
احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده **ومنها** ان لا يسمع بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات **ومنها**
ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل قال رسول الله صلعم اصنع المعروف
الى اهله فان لم تصب اهله فانت اهله وان لا يدخل على احد منهم الا باذنه ويخالق الجميع بخلق حسن وان
يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلعم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا وان
يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلعم على من تحرم النار قالوا الله ورسوله
اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلعم
العدة عطية وقال العدة دين وان ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه
وان يزيد في توقير من يدل هيئته وثيابه على علو منزلته وان يصلح ذات البين بين المسلمين على علو شان
مهما وجد وان يستر عورات المسلمين كلهم قال صلعم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة
وان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة وان يشفع
لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة وان يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه
عند السلام وان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر وانه اذا بلي
بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه كما قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة

في المعاصي ويرضى بالخلق الحسن في الظاهر وان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين و
يحسن الى الايتام كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين وان ينصح لكل مسلم ويجتهد في ادخال السرور على قلبه وان يزور قبورهم و
المقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلعم ما رايت منظرا الا والقبر
افظع منه **واما حقوق الجوار** فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار
المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار
له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما
الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار **واعلم** ان حق
الجوار ليس كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه ولا يكفي احتمال الاذى
بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة
ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني **حقوق الاقارب والرحم** قال رسول
الله صلعم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل
رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه **حق الوالدين
والولد** لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام الولادة فيتضاعف تأكد الحق
فيها وقد قال صلعم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلعم
بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال عليه السلام ان
الجنة قد يوجد ريحها من مسيرة خمس مائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وروي ان
الله عز وجل قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه
كتبته عاقا **حقوق المملوك** فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلعم ان قال اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون
فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم

ولو شاء لسلطهم اياكم وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلعم فقال كم نعفو عن الخادم
فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعفو عنه كل يوم سبعين مرة **كتاب العزلة** وهو الكتاب
السادس من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان حقر في قلوبهم النظر الى متاع الدنيا
وزهرتها حتى استأنسوا بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحشوا عن الانس بالانس
وان كان من اخص خاصته والصلوة على سيد انبيائه وخيرته وعلى آله واصحابه سادة
الخلق وائمته **اما بعد** فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احديهما على
الاخرى وميل اكثر العباد والزهاد الى تفضيل العزلة على المخالطة فكشف الغطاء عن الحق
فيه ويحصل ذلك برسم بابين **الباب الاول** في نقل المذاهب والحجج فيها **الباب الثاني** في كشف الغطاء
عن الحق **الباب الاول** في نقل المذاهب وذكر حجج الفريقين اما المذاهب فذهب الى اختيار العزلة
على المخالطة سفين الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان
الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة
واستكثار المعارف في الاخوان والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال
الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة
وشريح وشريك وعبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة
ذكر حجج المائلين الى المخالطة احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله
الف بين قلوبكم فاصبحتم على الناس بسبب المؤلفة وهذا ضعيف لان المراد تفرق الآراء
واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله تعالى واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل
من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك
واحتجوا بقوله صلعم من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله صلعم من شق عصا
المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام وهذا لان المراد به الجماعة التي
اتفقت آراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج
عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة
من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بما روي
معاذ بن جبل

معاذ بن جبل انه عليه السلام قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية
والنافية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما
اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي ذلك وان ذلك منهي عنه الا لضرورة **ذكر حجج المائلين الى**
تفضيل العزلة احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من
دون الله وادعو ربي الآية ثم قال الله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشار الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة
الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند اليأس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما
الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه عم قيل له الوضوء من جر مخمر
احب اليك او من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسا لبركة
ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في
الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى فقال
اسقوني فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك
بشراب انظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس
التمس بركة ايدي الناس فشرب منه فاذن كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام
على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقوله تعالى في اصحاب الكهف
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم
بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب
وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به بالمدينة بعد ان اعلى الله
كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين
ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما
النظر في العزلة من المؤمنين فاذا ظهرت هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء
بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق ان شاء الله تعالى **الباب**
الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي

تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية فالدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة
على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من ارتكاب المناهي التي تتعرض الانسان لها
بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع
من الاخلاق الذميمة والاعمال الخبيثة من الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى
ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة من محذورات
كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر
مروته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائيه وسوء ظنه او نميمته او محاسدته
او التأذي بثقله وتشويه خلقته فالى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها
في ست فوائد الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة
الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات
والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه الثانية
التخلص من المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة الثالثة الخلاص من الفتن
والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن
وخصومات الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم مرة يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء
الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة
بالنميمة والكذب الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس السادسة الخلاص من مشاهدة
الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم فان رؤية الثقيل هي العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت
عيناك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل ابو حنيفة فقال في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه
عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني رؤية
الثقلاء وهذه الفوائد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها ايضا
تتعلق بالدين فان الانسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو
صنع الله وان تأذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك لم يصبر عن مكافاته
وكل ذلك ينجر الى افساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم آفات العزلة اعلم ان من
من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة والدوا

اليهما

اليهما هو هي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستيناس والايناس
ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة
الاحوال والاعتبار بها واما آداب العزلة فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس
اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين
ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا ليحتمي بها
على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس ان يكثروا غشيانه و
زيارته فيشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما
الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلاة او الفكر
من حيث لا يحتسب ووقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت ويتفرع
وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطر الى التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا
على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة
او قدح فيه بترك الخلطة فان ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة ولا بد ان يكون وقوفها
عن سيرته في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور القلب واما
بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واما بالتأمل في دقائق الاعمال
ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك
مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة
او جليس صالح لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات
ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس الا منهمكون فيه ولا ينقطع
طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه
لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن
وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل
في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من
آنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة

بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال الله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت في الجهاد من جاهد نفسه وهواه
كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضي
الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من
ربع العادات من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب
صنعه في الحضر والسفر والصلوة على محمد سيد البشر وعلى آله واصحابه المقتفين
لآثاره في الاخلاق والسير اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه والوصول
الى مطلوب مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري و
الفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر
الباطن واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله وفي الارض آيات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وهو السفر الذي لا يضيق فيه المناهل والموارد ولا
يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه فغنائمه دائمة غير ممنوعة
وثمراته متزايدة غير مقطوعة ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات
هذا البستان سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة متجرا بها تجارة
الدنيا او ذخيرة الآخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين
كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان
من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة
ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين ان شاء الله تعالى الباب الاول في الآداب من اول
النهوض الى آخر الرجوع الباب الثاني فيما لا بد للمسافر منه الباب الاول ففيه فصلان الفصل الاول
في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات
فان المسافر اما ان يكون له ازعاج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما

نسخ ٦٦

واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية
كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة وخصومة او غلاء سعر واما
امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد
لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل
لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني
والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته
على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي
الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا
من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط
بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك
بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار
ويخرج من هذه الاقسام اقسام القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك
بحسب كون العلم واجبا او نفلا وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في
سبيل الله عز وجل حتى يرجع وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله
على هدى ما كان سفره ضائعا القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج
وقد ذكرنا فضل ذلك في اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتا بعين
وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته
ويجوز شد الرحال لهذا الغرض القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين
وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية
والجاه وكثرة العلائق فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ من غير الله
فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في
الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها قد نجا
المخففون وهلك المثقلون القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون

او في المال كفلاء السفر ولا حرج في ذلك بل عجايب العزلة في بعض المواضع وربما يتحتم في بعض
يجب وجوب ما يترتب عليه من الفوايد والتحبب به ولكن يستثنى عن الطاعون فلا ينبغي
ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلعم ان هذا الوجع
والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى
فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار
منه وقالت عايشة رضيه قال رسول الله صلعم ان فناء امتي بالطعن والطاعون
فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تاخذهم في
مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار
منه كالفار من الزحف وليكن نيته الآخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب
والمندوب ومحال في المكروه والمحظور فقوله صلعم انما الاعمال بالنيات عام خص في الواجبات
والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة الفصل
الثاني في آداب المسافر وهي احد عشر الاول ان يبدأ برد المظالم وقضاء الديون
واعداد النفقة لمن يلزمه نفقته ويرد الودايع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا
الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقايه قال ابن عمر رضيه من كرم الرجل طيب زاده
في سفره الثاني ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق الثالث ان يودع رفقاءه
الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع دعاء رسول الله صلعم قال عبد الله بن عمر
لبعض رفقايه حين الوداع سمعت رسول الله صلعم يقول قال لقمن ان الله عز وجل اذا
استودع شيا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الرابع ان يصلي
قبل السفر صلوة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلوة الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل
بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اظلم
او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا استوى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت
واليك توجهت السادس ان يرحل عن المنازل بكرة روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل
يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها وروي انه صلعم قال

اللهم

اللهم بارك لامتي في بكورها يوم السبت السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة
الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة ويكون بالليل متحفظا عند
النوم التاسع ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب وجهها
ولا ينام عليها العاشر ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عايشة رضيه كان رسول الله
صلعم حمل معه خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدرى والمشط والسواك وفي رواية ستة
المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط الحادي عشر في آداب الرجوع من
السفر كان النبي صلعم اذا قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات
ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تايبون
عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده واذا اشرف على المدينة فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا وكان صلعم
اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا
اوبا لا يغادر علينا حوبا [illegible] الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة
القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته
اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير
زاد فلا باس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية
وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا ويقدر
على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك والا فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه
بيده الى التهلكة وليس معنى التوكل الساعي عن الاسباب بالكلية واما زاد الآخرة
فهو العلم الذي يحتاج اليه في سفره فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين القسم الاول العلم
برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر
والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة
وهو الفطر فهذه سبع رخص القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة والمسافر قد تشتبه عليه القبلة
فلا بد له من العلم بادلة القبلة وهي ثلاثة اقسام ارضية كالجبال والقرى والانهار

والمكحلة

او هوائية كالرياح شمالها وجنوبها صباها ودبورها او سماوية وهي النجوم فاما
الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين القبلة
او شماله او ورائه او قدامه فليتعلم ذلك وكذلك الرياح قد تدل في البلاد فليفهم
ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها
تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلابد وان تراعى قبل الخروج من البلد
ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل
الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع وهذا ايضا
لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب فانما تدرك بموضع
الغروب وذلك بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق
ايضا تعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس
تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب
كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلابد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء
بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة به فعليه ان يراعي موقع القطب وهو
الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون
على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي
البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده
فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع
الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلد فينبغي ان
يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد ليتضح له محراب
ذلك كتاب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلي وبه نستعين

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه
ومشاهدته حتى اضحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات

الجلال

الجلال والهة حيرى والصلوة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه ائمة
الحق وقادته وسلم كثيرا اما بعد فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر معادن صح
وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب
والمدر فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه ولا سبيل
الى استثارة خفاياها الا بقداح السماع فلا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع
فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك
فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت
بوادرها مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول
في السماع والوجد ولكن نوضح ذلك في بابين الباب الاول في اباحة السماع الباب الثاني
في آدابه وآثاره في القلب الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف
الحق فيه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد
تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق
والرقص فنبدأ بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر
الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب
فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفين وجماعة
من العلماء الفاظا استدل بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله في كتاب ادب
القضاء ان الغناء لهو مكروه واما مالك فقد نهى عن الغناء واما ابو حنيفة رحمه الله
فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب فهذا كله نقله ابو الطيب الطبري
ونقل ابو طالب المكي رحمه اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر
وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال فعل ذلك كثير من السلف صحابي
وتابعي باحسان وحكي عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت
ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا تثبت
عليه الا اقدام العلماء وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له ايؤتى به يوم

يؤتى به يوم القيمة في جملة حسناتك او سيئاتك فيقال لا في الحسنات ولا في السيئات
لانه شبيه باللغو قال الله تع لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ومن طلب الحق من التقليد
فيها استقصى تعارضت عنده الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهي
وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة
كما سنذكره بيانه الدليل على اباحة السماع اعلم ان قول القائل السماع حرام معناه ان الله
يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات منحصرة في النص والقياس
على المنصوص اعني بالنص ما اظهره صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله وبالقياس المعنى
المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول
بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ونقول
قد دل القياس والنص جميعا على اباحة السماع اما القياس فلان الانسان عقل وخواس خمس ولكل
حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ في مقابلة ما يكرهه وللعقل
لذة العلم وهو في مقابلة الجهل والبلادة وكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم
الى مستلذة كصوت العنادل ومستكرهة كنهيق الحمير فما اظهر قياس هذه الحاسة
ولذتها على سائر الحواس ولذتها واما النص فامتنان الله تع على عباده اذ قال يزيد
في الخلق ما يشاء فقيل هو حسن الصوت وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه
كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن
والوحش والطير لسماع صوته فكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب ذلك في الاوقات
وقول الله تع ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو
جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزمه ان يحرم صوت العندليب لانه
ليس بقراءة القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه
الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول
انه يحرم بخمسة عوارض العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها وتخشى
الفتنة في سماعها الثاني في الآلة بان تكون من شعار الشرب والمخنثين وهي

المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلثة انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف
وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات الثالث في
نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو او هو كذب على الله او
على رسوله او على الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان
او بغير الحان والمستمع شريك القائل الرابع في المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان في
غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب من غيرها عليه فالسماع حرام عليه سواء غلب
على قلبه شخص معين او لم يغلب الخامس ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون
السماع له محبوبا فيكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه كسائر انواع اللذات المباحة الا
انه ان تخذه ديدنه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان قلت
فقد ادى مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول
اولا بالاباحة اذ الاطلاق في المفصل بلا او نعم خلف وخطا فاعلم ان هذا غلط لان البتة
الاطلاق انما يمتنع بتفصيل ينشا من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا من الاحوال العارضة
به من خارج فلا يمنع الاطلاق الباب الثاني في آثار السماع وآدابه اعلم ان اول درجة
السماع فهم المسموع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلننظر في هذه المقامات
الثلاثة المقام الاول في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال
احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات
وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله
على صورة مخلوق اما معينا او غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوة وهذه الحالة
اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها الحالة الثالثة ان ينزل ما يسمعه
على احوال نفسه في معاملته لله تع وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع
المريدين لا سيما المبتدئين الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن
نفسه ما سوى الله حتى غرب عن نفسه واحوالها ومعاملتها وكان كالمدهوش الغائص
في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال

يكون حتى يبكي ويسقط احساسه حتى المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللصوفية
والحكماء كلام طويل في حقيقة الوجد فلننقل من اقوالهم الفاظا اما الصوفية فقد قال
ذو النون المصري في السماع انه وارد حق يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق
تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق و
هو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج
مخبرا عما وجد في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال عمرو بن عثمان المكي لا
يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين الموقنين واما الحكماء فقال بعضهم في القلب
فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان
فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر
وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال
بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق
عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه
بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها
روحانية المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع اما الآداب فهي خمس جمل الاولى
مراعاة الزمان والمكان والاخوان فينبغي حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا
مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه
اذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد بالظاهر مفلس عن لطائف القلوب كان مستثقلا
في المجلس واشتغل القلب به الادب الثاني وهو نظر الحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله
مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع الادب الثالث ان يكون مصغيا الى ما يقوله
القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب الرابع ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء
وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراءاة الادب
الخامس موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف
او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة

كتاب

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت وبه نستعين

نسخة بيان

الحمد لله الذي لا يستفتح الكتب الا بحمده ولا يستتم النعم الا بواسطة كرمه ورفده والصلوة
على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده اما بعد
فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى
له النبيين اجمعين وها نحن نشرح علم ذلك في اربعة ابواب الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الباب الثاني في اركانه وشروطه الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة
في العادات الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر الباب الاول
في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة في اهماله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه
واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فمنها قوله تعالى ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وقال
تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات
واولئك من الصالحين وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال
في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله
بعذاب من عنده وروي عن ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلعم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم فقال يا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام
فان ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل
منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا

وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها ولكن قيل وشكر ديأتي زمانها
تامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم واما الآثار فقد قال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم
فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت
الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال كعب الاحبار لابي
مسلم الخولاني كيف منزلتك في قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير
ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند
قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية وكذب ابو مسلم الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف
وشروطه اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر
اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب الركن الاول المحتسب وله
شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه
اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به شرط الوجوب فاما امكان الفعل
وجوازه فلا يستدعي الا العقل واما الشرط الثاني وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان
هذه نصرة الدين فكيف من اهلها من هو جاحد لاصل الدين وعدوله واما الشرط الثالث
وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير
الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم و
قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الشرط الرابع كونه مأذونا من جهة
الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والآثار
التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اينما رآه كيف ما رآه على
العموم فالتخصيص تحكم الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة
الا بقلبه قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في
وجوههم فافعلوا الركن الثاني ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب

بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها الاول كونه منكرا
ونعني كونه محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية
اذ من رأى صبيا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره بل الصاد فهذا المنكر في صورة وجب المنع عنه
وهذا لا يسمى معصية فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية الثاني ان يكون موجودا
في الحال وليتنبه ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء
او ما يجري مجراه الثالث ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في
داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله عنه قال تعالى ولا تجسسوا الرابع
ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس
للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي
ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام الركن
الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع في حقه منكرا ولعل يكفي في
ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ الصبي لو شرب الخمر منع منه وان كان قبل البلوغ
ولا يشترط كونه مميزا اذ المجنون لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة وجب منعه الركن الرابع
نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ
والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه
ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود بيان آداب المحتسب فنقول جميع آداب
المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم
مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه
من مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد
المأذون شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق
يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك جراءة واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق
وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم
والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق ودل على هذه الآداب قوله عليه السلام

لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى
عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا
بل فيما يأمر به وينهى عنه ولسنا نعني بهذا أن الآمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسوق ولكن يسقط أثره
عن القلوب بظهور فسقه للناس وقد روي عن أنس قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل
به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلعم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به
كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله **الباب الثالث** في المنكرات المألوفة في العادات نشير إلى جمل منها
يستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك منكرات المساجد فمما
يشاهد في المساجد ترك الطمأنينة في ركوع الصلاة وسجودها وهو منكر مبطل للصلاة
بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا للحنفي الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة ومن رأى
مسيئا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في
الغيبة المستمع شريك القائل **ومنها** قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه **ومنها** تراسل المؤذنين
في الأذان وتطويلهم مد كلماته **ومنها** تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الصبح في مسجد
واحد **ومنها** أن يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم **ومنها** الحلق يوم الجمعة
لبيع الأدوية والتعويذات لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل
الشعوذة والتلبيسات **ومن** منكرات الحمامات فمن ذلك الصور التي تكون بباب الحمام أو داخل
الحمام ولا منع من تصوير الأشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوانات **ومنها** كشف العورات
والنظر إليها وكشف ما دون السرة من الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت
الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها **ومنها** غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة
وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على
المالكية **ومنها** أن يكون في مداخل بيوت الحمامات حجارة ملساء مزلقة وكذلك ترك الصابون
المزلق على أرض الحمام منكر **منكرات الضيافة** فمن ذلك فرش الحرير للرجال وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة
أو ذهب وكذلك الشرب منهما واستعمال ماء الورد فيهما وكذلك تعليق الستور وعليها الصور
ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات **ومنها** اجتماع النساء على السطح للنظر إلى الرجال مهما

كان في الرجال شبان يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور منكر وفي تغييره لزم الخروج **ومنها**
أن يكون في المجلس مبتدع يتكلم في بدعته لم يجز الحضور لمن لم يقدر على الرد عليه وإن كان فيها
مضحك بالحكايات وأنواع النوادر إن كان بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعني ما يقل
منه فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد منه التلبيس
فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك القول
ألف مرة وما يجري هذا المجرى **ومنها** الإسراف في الطعام والبناء فمن لم يملك إلا مائة
دينار مثلا وله عيال وأولاد ولا معيشة لهم ولا كسب فأنفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه
منه ذلك قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل كان بالمدينة قسم
جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وكذلك قال تعالى والذين إذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا ومن يسرف في هذا الإسراف ينكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان
الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة عليه فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر وكذلك
لو صرف جميع ماله إلى تزويق حيطانه بالنقوش وتزيين بنيانه فهو إسراف محرم وفعل ذلك
ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش
أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة وكذا الدور
وكذا القول في التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال
الرجل وثروته وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها **الباب الرابع في أمر الأمراء
والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر** وقد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف
وثانيه الوعظ وثالثه التخشين ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة
والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما التعريف والوعظ وأما
التخشين بالقول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى
شرها إلى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان
من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض
لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلعم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب

ثم رجل قام الى امام جاير فامره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك وقال صلعم افضل الجهاد كلمة
حق عند سلطان جاير وقد علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان
جاير وان صاحبه اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك
موطنين انفسهم على الهلاك ومتحملين انواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله
ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق كل شي فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه صلى الله عليه وسلم فاحسن
تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتدا به من اراد
تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن
وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق

بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمد صلعم بالقران

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال
دايم السوال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في
دعايه اللهم حسن خَلقي وخُلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاه
وفا بقوله تعالى ادعوني استجب لكم فانزل عليه القران وادبه به فكان خلقه القران وانما
ادبه بالقران بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله تعالى واصبر على ما
اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد جعل الدم يسيل
على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل

الله

فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شي تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القران
لا تحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق
فانه ادب بالقران وادب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
ثم لما اكمل الله خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم
امتنانه انظر الى عظيم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك
فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلعم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق و
يبغض سفسافها

بيان جملة من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلماء من الاخبار

فقال كان
رسول الله صلعم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده يد امراة
قط لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده
دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجاه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرا منه
الى من يحتاج اليه وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم
معهن وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة ياكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولم يشبع من خبز
بر ثلثة ايام متوالية حتى لقي الله عز وجل ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا ويلبس ما وجد فمرة
شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس يركب ما امكنه فمرة
فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهبا ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا ردا ولا عمامة
ولا قلنسوة وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره يجالس
الفقرا ويواكل المساكين فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين
والآخرين وما فيه الفوز والنجاة في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب
وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتاسي به في فعله آمين رب العالمين

كتاب شرح عجايب القلب

وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق
انواره الاحداق والنواظر والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد

لا تنحصر

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي **الاول** لفظ القلب وهو
يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي
ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته
فانه يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم
والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة
هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف وهو المطالب والمخاطب والمعاقب وان تعلقه
به ايضا هي الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل بالالة
او تعلق المتمكن بالمكان **اللفظ الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا
لمعنيين احدها جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب
الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم
منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي
الى جزء من البيت الا ويستنير به والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو
بخار لطيف انضجته حرارة القلب المعنى الثاني وهو اللطيفة العالمة من الانسان وهو الذي
شرحناه في احد معنى القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته
اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدها
احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان وهذا الاستعمال
هو الغالب عند الصوفية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك المعنى الثاني اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة
ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر و
زايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة
للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها

عنـ

عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت
الاعتراض واذعنت لطاعة مقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس
الامارة بالسوء قال تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال
المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذموم
غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله
وسائر المعلومات **اللفظ الرابع** العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة والمتعلق
بغرضنا من جملته معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور
فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب الثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك
للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة والعقل قد يطلق ويراد به صفة
العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلعم
اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل
لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه
قال له اقبل فاقبل ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه
الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهواني والعلم
وهذه اربعة معاني يطلق عليها الاربعة الالفاظ ومعنى خامس وهو اللطيفة
العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني
خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين **بيان** جنود القلب قال الله تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح من العوالم جنود
مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن نشير الان الى بعض جنود
القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى
الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى
الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان
وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له دائما

افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خُلق
وهو السفر الى الله تعالى قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن
وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل
الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا
ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانه من عالم الملك والشهادة وانما
نتكلم الآن فيما ايدت به من جنود لم تروها وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما سكن
المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس والى ما سكن منازل باطنة وهي تجاويف
الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته
في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر
فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني
المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر
وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه
كما تخلو اليد والرجل عنه فتلك القوى جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام
جنود القلب وشرحه بحيث يدركها الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب
ان ينتفع به الاقويا والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفة بضرب
الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم **بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة** اعلم ان جندي
الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي
يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي
وتمرد حتى يملكانه ويستعبدانه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله
الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه ان يستعين بهذا
الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين ونحن نقرب هذا الى عقلك بثلثة امثلة
المثال الاول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته

وقواه

وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة كالمشير الناصح
والوزير العاقل والشهوة كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية
كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار يتمثل بصورة الناصح وتحت
نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل
تدبيره فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة
هذا العبد الخبيث استقام امر بلده كذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية
الغضبية وسلطها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى اعتدلت
قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرأيت من
اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال
لمن نهى النفس عن الهوى ان الجنة هي الماوى **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل
اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة و
الباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة و
الغضب كعدو ينازعه في مملكته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد
عدوه فهزمه وقهره حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند
لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد
الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة
الاشارة بقولهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل
مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا
وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق
وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته ولا كلبه يسترسل
باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا ان ينال ما طلب وانما خرق
الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال

لقلبه الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعن الطلب مثال الغلبة الغضب واستيلائه

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات
من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت وبه نستعين
الحمد لله الذي فوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره و
واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق
بتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه
وصفيه وبشيره ونذيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة
الكفر ودياجيره وبعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال
الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين قال الله سبحانه لنبيه مثنيا عليه وانك
لعلى خلق عظيم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق اعلم ان
الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا الحقيقة وانما
تعرضوا لثمرته ولم يستوعبوا جميع ثمراته وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط
الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من
شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم
ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق
في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضاء عن الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق
فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة
وقال مرة ان لا تتهم مولاكم في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاكم
ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينكم وبين الله تع وفيما بينكم وبين الخلق وقال علي رضي
حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال
الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق وقال الخراز ان لا تكون لك همة غير الله
فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق
اي حسن الظاهر والباطن وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن

فمن

ومن نفس وروح مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة
والنفس اعظم قدرا من الجسد ولذلك عظم الله تع امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق
بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه به ان الجسد منسوب الى الطين
والروح منسوب الى الله والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة
عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية
فان كانت الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت
الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي
هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على
الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ فهنا
اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة والرابع
هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليه احد الامرين اما الحسن او القبيح و
ليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع
وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس عبارة عن القوة لان
نسبة القوة الى الاعطاء والامساك بل الى الضدين واحد وليس عبارة عن المعرفة
فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح على وجه واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا
على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء فالخلق اذا
عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا
لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع فكذلك في الباطن
اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان
الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب
وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها في ان
تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق
والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال اما قوة الغضب فحسنها

في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها
وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة
العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل
منزلته منزلة الناصح المشير والعدل بمنزلة المنفذ لاشارة العقل والغضب
هو الذي ينفذ فيه الاشارة بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة اعلم ان
بعض من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية
النفس فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل
فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر
لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين
صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق
بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من
مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان
بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك
محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ
والتاديبات ولما قال رسول الله صلعم حسنوا اخلاقكم وكيف تنكر هذا في حق الادمي
وتغيير خلق البهيمة ممكن نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول
واما الخيال الاخر وهو ان الادمي ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة و
حب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من
المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي
ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة
الوقاع لانقطع النسل ولو انقطع الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه
ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى
يحمله ذلك الى امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى

الاعتدال

الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والذي يراعي ان المطلوب
الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط
بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وكذا المطلوب في شهوة الطعام قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور
اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض
هذا العالم قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا
من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون
حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب
الى الانفاق وكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا
طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر
لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير
والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك ساير
الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا بيان السبب
الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة
العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما مطيعة للعقل و
الشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث
يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق فيصير بغير تعلم عالما وبغير مؤدب
متادبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا ساير الانبياء صلوات الله عليهم ولا
يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة
سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين
بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة

والرياضة فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي
فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير له
ذلك طبعا وكذا من اراد ان يحصل خلق التواضع فطريقه ان يواظب على افعال
المتواضعين مدة مديدة الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة
شرعا تحصل بهذا الطريق **بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه** اعلم ان الله تعالى
اذا اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف
العيوب امكن العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في
عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة
طرق **الاول** ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه
على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه **الثاني**
ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه فما كرهه من عيوبه الظاهرة
والباطنة فينبهه عليه **الثالث** ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه **الرابع** ان
يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به فان المؤمن مرآة المؤمن
فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به
واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الذي يحسن عبده بالطعام والشراب بمهلكة صح
عما يرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق مجاري الشيطان الذي
يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه والصلاة
على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه وعلى الاخيار من صحابته وتابعيه **وبعد** فاعظم المهلكات
لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار
اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما **بيان فضيلة الجوع
وذم الشبع** قال رسول الله صلعم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك

كا

كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله عز وجل من جوع وعطش وقال ابن عباس رض
قال النبي صلعم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل
قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء **واما** الآثار
فقد قال عمر بن الخطاب رضه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات
وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة و
قعدت الاعضاء عن العبادة **بيان** فوائد الجوع وآفات الشبع في الجوع عشر فوائد
الفائدة الاولى صفاء القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة **الثانية** رقة القلب
وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر **الثالثة** الانكسار
والذل وزوال البطر والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى **الرابعة**
ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين
وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر
من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون
حتى يطعموا الزقوم والضريع ويسقوا الغساق والمهل **الخامسة** كسر شهوات المعاصي
ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما
السعادة كلها ان يملك الرجل نفسه والشقاوة ان تملكه نفسه **السادسة** دفع النوم
ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وفي كثرة النوم ضياع
العمر وفوت التهجد وبلادة وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال
العبد فيه يتجر والنوم موت **الفائدة السابعة** تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل
يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل وربما يحتاج الى زمان في شراء
الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة
شربه وقال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا
قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز

منذ اربعين سنة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل
وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات التاسعة خفة
المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه
غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم العاشرة ان يتمكن به من الايثار
والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته
كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله
الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة
والشبع بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او يقلل الاكل اعلم انه يدخل
على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احديهما ان لا تقدر النفس على ترك
بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف انه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة
ما لا ياكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي بل الحق اذا ابتلي بالشهوات ان يظهرها فان هذا
صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من
الكمال هو نقصان متضاعف والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى
منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين وقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان
الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى
قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي
ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من
نفسه الشهوة اسقاطا للمنزلة عن قلوب الناس الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة و
لكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة و
هي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هي الشهوة الخفية
فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى
له القول في شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين
احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت

اقوى

اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب
يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لم يدرك
بالذوق لم يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه
فائدتها ولكن فيها من الآفات والمهلكات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم
ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن
ابن عباس في قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسند بعض الرواة الى
رسول الله صلعم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل
دكهما ذهب ثلثا عقله وكان صلعم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومني
وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على
الرجال وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية وقال صلعم لكل ابن آدم حظ
من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان
تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم او يتمنى ويصدق
ذلك الفرج ويكذبه بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد في ابتداء امره
لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فانه يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة
ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تع فلا يقاس الملائكة بالحدادين كان استغراقه
بحب الله بحيث كان يخاف احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري
ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني
يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه كتاب آفات اللسان وهو الكتاب
الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله وعلمه البيان فقدمه وفضله ثم امده
بلسان يترجم عما حواه القلب وتعقله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله صلى الله عليه وعلى آله ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله

وبعد فان اللسان نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة وعظيم طاعته وجرمه
اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان
باب خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت
قال صلعم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم
قال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك
بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه
ولقلقه والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان الاثار كان
الصديق رضي يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا
اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج
الى طول سجن من لسان قال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت قالوا
ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت ونحن الان
نعد آفات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام
في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة الآفة الاولى
الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي
ذكرناها من الغيبة والكذب والرياء والتفاخر وغيرها وتتكلم بما هو مباح لا ضرر
فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك
به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك ولو هللت الله وسبحته وذكرته
لكان خيرا لك قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد حال العبد اوقاته ومهما صرفه
الى ما لا يعنيه ولم يرج ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلعم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه الثانية فضول الكلام قال عطاء بن ابي
رباح ان من كانوا قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ما عدا كتاب الله او
امر بمعروف او نهي عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون
ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول

الآ

الا لديه رقيب عتيد فاعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله
قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله
مطلب مهم
الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية مخالطة النساء ومجالس
الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة فان كل
ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعني فهو ترك الاولى ولا
تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا يؤمن ان يغلب عليه الخوض في الباطل
الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا
تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلعم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته
ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى
الجنة ومن تركه وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال
رسول الله صلعم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه عبادة الاوثان وشرب الخمر
وملاحاة الرجال وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم
ولكن عليك بالسنة وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم
عندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال
الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام
الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة
والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في
الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون
اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت عائشة قال
رسول الله صلعم ان ابغض الرجال الى الله عز وجل الالد الخصم وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلعم من جادل في خصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فاعلم ان
هذا الذم يتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر

الخصومة

اللدد والخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يحمله على الخصومة
محض العناد لعدو الخصم اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد و
اسراف فعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان
في الخصومة على حد الاعتدال متعذر وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب
الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من
سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت
السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالمقدمات
وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة قال فيه رسول الله صلم انا والاتقياء
من امتي برآء من التكلف السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان قال رسول الله صلم
اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش والتفحش ونهى رسول الله صلم عن ان يسب
قتلى بدر من المشركين اما حده فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة
ويجري اكثر ذلك في الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة
يستعملونها فيها واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون ويدلون
عليها بالرموز الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان وذلك مذموم قال
النبي صلم المؤمن ليس بلعان وقال صلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا
بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال صلم ان
اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة واللعن عبارة عن الطرد
والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله
وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي
ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله بانه ابعد
الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله
عليه والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته كفرعون وابي جهل

لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا
واما شخص بعينه في زماننا كقولك لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه
خطر اذ ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا التاسعة الغناء
والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما
الشعر فكلام وحسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله
صلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا وعلى الجملة
فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال صلم ان من الشعر
لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد
امر رسول الله صلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه
لا يلحق بالتحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها
فليتق الله سائله فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن
صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد
منه ان يعتقد صورته الافة العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا
يسيرا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة
ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه
انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم المنهي عنه الافراط فيه او المداومة
عليه كما روي عن رسول الله صلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثلك يقدر
على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيرك فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان
يضحك الناس كيف كان وقد قال صلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها
جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضه من كثر ضحكه قلت هيبته
ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر
سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه مات قلبه الحادي عشر السخرية
والاستهزاء وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان

ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب
والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون
بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى
الغيبة قالت عائشة حكيت انسانا فقال النبي صلعم ما احب اني حكيت
انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تع يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة
القهقهة بذلك وهو اشاعة الحالة المضحكة على الناس من الجرائم والذنوب الثانية
عشر افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء
قال رسول الله صلعم اذا حدث الرجل الحديث فهي امانة وقال صلعم مطلقا الحديث
بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك الثالثة عشر الوعد
الكاذب وقد قال الله تع يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم
العدة عطية وقال الوأي مثل الدين وافضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تع
على نبيه اسمعيل صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا
قيل انه وعد انسانا في موضع فلم يرجع فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره الرابعة
عشر الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وقال اسمعيل
بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قام فينا رسول الله صلعم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه
مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب من
ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية
والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال صلعم
كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب وقال صلى الله
عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور وقال صلعم من حلف

على يمين اثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه
غضبان وقال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب
وشر الندامة ندامة يوم القيمة مما رخص فيه من الكذب قال ميمون بن مهران
الكذب في بعض المواطن خير أرأيت لو ان رجلا سعى في اثر رجل بالسيف
فدخل دارا فانتهى اليك فقال ارأيت فلانا فما كنت قائلا الست تقول لم
أره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد
فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام
وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل
ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم
واجب فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب
ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا
بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما يمكن لانه اذا فتح باب
الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان
الكذب حراما في الاصل الا بضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام
كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلعم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل
يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته
والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب
من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلعم
قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما الخامسة
عشر الغيبة والنظر فيه طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وقد نص الله سبحانه على ذمها
في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام
دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع رسول الله بينه وبين الدم

والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب
بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلعم
اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله
عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم فقلت
يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وعن
مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل
لحوم الناس وقال ابو هريرة يبصر احدهم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في
عين نفسه **بيان حد الغيبة** اعلم ان الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه
سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله
او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه وفي داره وفي دابته وقال قوم لا غيبة في الدين
لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله
صلعم امراة وكثرة صومها وصلوتها لكنها توذي جيرانها فقال هي في النار وذكر امراة
اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم
الى تعرف الاحوال بالسوال ولم يكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول
الله صلعم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب بدليل ما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لانه داخل فيما ذكره رسول الله في حد الغيبة فكل هذا وان
كنت صادقا فيه فانت به مغتاب بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل
تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت
ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيما
للغير نقصان اخيك فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء
والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام

ومن ذلك قالت عايشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومأت بيدي اي قصيرة
فقال عليه السلام قد اغتبتها **بيان** تحريم الغيبة بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام
مثل سوء القول فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست
اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء واما الخواطر وحديث النفس فهو
معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عما تركن اليه
النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم **بيان**
الاعذار المرخصة للغيبة اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في
الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة **الاول** التظلم من
ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من
جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكن استيفاء
حقه الا به وقد قال صلعم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم **الثاني** الاستعانة
على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضه
فسلم عليه ولم يرد فذهب الى ابي بكر رضه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم
يكن ذلك غيبة عندهم **الثالث** الاستفتاء كما تقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي فكيف
طريقي **الرابع** تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق
وخفت ان يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث
لك الخوف على سراية البدعة والفسوق لا غير **الخامس** ان يكون الانسان معروفا
باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد
عن الاعرج وسليمان عن الاعمش **السادس** ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب
الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس قال رسول الله صلعم من القى جلباب
الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق
المعلن والامام الجاير **بيان كفارة الغيبة** اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب
ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته

وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روي انس بن مالك قال
قال رسول الله صلعم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك
ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي
الى صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك
وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال
بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف ويثبت المطالبة به بل في
الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في
عرض او مال فليتحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ
من حسناته فان لم يكن حسنات اخذ من سيئات صاحبه فيزيد على سيئاته الآفة الحادي عشر
النميمة وقد قال الله تع همّاز مشاء بنميم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم
الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا
استنباطا من قوله تع عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تع ويل لكل همزة قيل
الهمزة النمام وقال حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال تع فخانتاهما
الآية قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر انه مجنون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات
هو النمام وروي كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب
فاوحى الله تع اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال
موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما
فتابوا باجمعهم فسقوا فاعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير
الى المقول فيه كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس النميمة مخصوصا به بل
حده كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف بالقول او الكتبة او بالرمز او
بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا
ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر

عما

عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في
حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد
به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة و
افشاء للسر الآفة الثاني عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين
ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق
قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلعم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان في النار
يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة
ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بحديث هولاء وهولاء بحديث هولاء وفي
لفظ آخر ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه قيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول
القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلعم وهذا
نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول ولكن اذا دخل وخاف ان لم يثن فهو نفاق
لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال
والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلعم حب المال
والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء ومراعاتهم و
مراياتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز
الآفة الثامنة المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة
وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ستة آفات اربعة في المادح واثنان في الممدوح
فاما المادح فالاول انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما
او واليا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه
والثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا
لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له
الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلعم ويحك
قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب

فلانًا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك الرابعة انه قد
يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب
اذا مدح الفاسق اما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا و
اعجابا وهما مهلكان الثانية انه اذا اثني بالخير فرح به وفتر ورضي من نفسه
وقل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا التاسعة عشر الغفلة عن دقايق الخطا
في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فمن قصر
في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة
قال النبي صلعم لا يقل احدكم ما شاء الله وشيت وليكن ليقل ثم شيت وذلك لان في العطف
المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام الآفة العشرون سوال العوام عن
صفات الله تع وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في
القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان
يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه
ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه
تلك الدرجة فهو مذموم قال رسول الله صلعم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم
بسوالهم واختلافهم على انبيايهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه
ما استطعتم كتاب آفة الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي سلط على عباده الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب
وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر
كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون والصلوة على محمد رسوله الذي
يسير تحت لوايه النبيون وعلى آله واصحابه الايمة المهتدين والسادة المرضيين
وبعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا
على الافئدة وانها المستكنة في طي الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها

الكبر

قلب
الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد بيان ذم الغضب
قال الله تع اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته
على رسوله الاية فذم الكفار بما تظاهروا عليه من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل
ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني
بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وعن عبد الله بن عمر انه قال سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله قال لا تغضب قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت
وثبت يوشك ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملايكة
فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على
ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم واياك والعجلة وكن سهلا لينا للقريب
والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا بيان حقيقة الغضب اعلم ان الله تع لما خلق الحيوان
معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه
بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب
الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة
فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء
يجبر ما انحل من الحيوان لفسد فخلق الله الغذاء الموافق وخلق في الحيوان شهوة تبعثه
على تناول الغذاء كالموكل به لجبر ما انكسر ليكون ذلك حافظا من الهلاك واما
الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وساير المهلكات
التي تقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق
الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من
اغراضه فاشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي بها دم القلب وينتشر في
العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي في القدر
فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفايها تحكي لون
ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها ثم الناس في ذلك على درجات

ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه
القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال انه لا حمية له ولذلك قال
الشافعي رح من استغضب فلم يغضب فهو حمار وقد وصف الله الصحابة
بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار واما الافراط فهو ان يغلب هذه الصفة
حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة و
نظر وفكر ولا اختيار اذ ينطفي نور العقل بدخان الغضب فان معدن الفكر
الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ
مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه
حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها فهذه ثمرة الغضب المفرط **واما**
ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يانف عنه من التعرض للحرم والزوجة والام
واحتمال الذل من الاخساء وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم
وهي خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله
اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب فمن مال غضبه الى التفريط فينبغي ان يعالج
نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور فينبغي ان يعالج
نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط فهو الصراط المستقيم فان عجز فليطلب
القرب قال تع ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل
فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن
ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض **بيان** ان الغضب هل
يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب
بالكلية وزعموا ان الرياضة تتوجه واياه يقصد وظن اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج
وهذا راي من ظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير وكلا الرايين ضعيف
بل الحق ما نذكره فيه وهو ان الانسان ما بقي يحب شيئا ويكره فلا يخلو عن الغيظ والغضب
فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما

يحبه

يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام **الاول** ما هو ضروري في حق الكافة وهو القوت و
المسكن وصحة البدن **الثاني** ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان
والدواب **الثالث** ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم
وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا به
فانما هو وسيلة الى الضروري والوسيلة الى الضروري تصير ضروريا ومحبوبا **اما** القسم
الاول فليست الرياضة فيها لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع
الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل
وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مرة واما قمع اصل الغيظ من
القلب فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن **اما** القسم الثاني فيمكن التوصل الى الخلو
بالانفكاك عن الغضب عليه وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر وانما الدنيا
معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه و
مستقره فيزهد ويمحو حبها عن القلب **بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من**
الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله ولا يجوز مقابلة الغيبة
بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي
وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان
شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام
رسول الله صلعم فقال انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك
كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس
فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلعم التعيير بمثله نهي تنزيه
والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت
الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود
وهل انت الا من امية ومثله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين

وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حق شطويل حتى ترى
الناس كلهم حمقى في ذات الله وكفى لك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل
فقد اخبث اذاه عما ليس يكون فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين
فحرام بالاتفاق **القول في معنى الحقد والحسد وفضيلة العفو والرفق** اعلم ان
الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه
فصار حقدا وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب
والحقد يثمر ثمانية امور اولها الحسد وهو ان يحملك على ان تتمنى زوال النعمة
عنه فتغتم بنعمته وتسر بمصيبته وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد الثاني
ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث
ان تهجره وتنقطع عنه وان اقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه
استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر
وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه
بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضاء دين يوم م
او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية
المذكورة فهذا كله ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم **فضيلة
العفو** اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص او غرامة
وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو الآية
وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي
نفسي بيده ان كنت حالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفى
رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح
رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب الفقر وقال رسول الله صلعم قال موسى يا رب
اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا بعث الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر

الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض **الآثار** قال ابراهيم التيمي
ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه
لمعصية بالظلم وانه يطالبه يوم القيمة فلا يكون له جواب ودخل رجل على عمر
بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله
ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد انتقصتها وعن عمر عن ابي بكر قال بلغنا
ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان عند الله شيء فليقم فيقوم
اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال الفضيل ما رايت
ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت
دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه
بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وروي ان زيادا
اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت
عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك
بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ام لم ينبأ بما في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا
رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان
فضيلة الرفق اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب
والرفق واللين نتيجة حسن الخلق وقال صلعم اذا احب الله اهل بيت ادخل
عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق
وقال صلعم التاني من الرحمن والعجلة من الشيطان **بيان الدواء** الذي به ينفى
به مرض الحسد عن القلب اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى
امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا ان الحسد
ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل
ينتفع به في الدنيا والدين اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك سخطت

قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه
بخفي حكمته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك
به جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت
نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت
ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب
تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما
كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به اذ اعداؤك لا يخليهم الله
عن نعم يفيضها عليهم ولا يزول النعمة عن المحسود بحسدك **واما** العمل النافع فيه فهو ان يحكم
الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل ينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان
بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه
الزم نفسه التواضع والاعتذار اليه وغير ذلك فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا
آخرا ولا يصرنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حمله العدو على
العجز او على النفاق او على الخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان
فهذه هي ادوية الحسد الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة
الدواء لم ينل حلاوة الشفاء **كتاب ذم الدنيا** وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من
كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلي وبه نستعين
الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى
نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على
معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها وان ملكت احدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته
حصيدا كان لم تغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملوا كثيرا
ويبنوا قصورا فيصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان
امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا
ونذيرا وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا

وبعد فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما
عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها واما
عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى
تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم
بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا
اليها اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق
عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة
الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد
روي ان رسول الله صلعم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على
صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله عز وجل من هذه
على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها
شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلعم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال صلعم حب الدنيا راس كل خطيئة وروي
ان سليمن بن داود صلعم مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه و
يساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا
عظيما قال فسمعه سليمن فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود
فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال رسول الله صلعم حين نزل
الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلعم يا ابا
هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي
واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات وخرق وعظام
ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام

برجليه ثم هي صابرة بهما دا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث
اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية
كانت رياشهم ولباسهم واصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم
التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا
حتى اشتد بكاؤنا قال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلعم اتت ابليس جنوده فقالوا
قد بعث نبي واخرجت امته قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي
ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه
وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع بيان صفة الدنيا بالامثلة
مثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركتها
بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت عند الحسن البصري انشد وقال
احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا
اليه طعاما فاكل ثم قال الى ظل خيمة فنام هنالك فاقلعوا الخيمة فاصابته الشمس
فانتبه وقام وهو يقول انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل مثال آخر
للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها
فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها
وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص
من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلعم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء
وهل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا
انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم
منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين
بفراقها وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل
عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله
مثال آخر اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم

يبلى

الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور
السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر
الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن واوفقها لمراده
وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها العجيبة وغياضها الملتفة
ونغمات طيورها وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة
الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين
بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف
الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار
فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادت الحجارة تضييقا وصارت ثقلا عليه ووبالا
فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه
وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب و
بعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل الثمار والتشمم
لتلك الازهار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات ولا ينفك عن شوك
متشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه
وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراد فلما بلغهم نداء
السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات
جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسه السباع ومنهم من
تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات ف
تفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل المركب بثقل ما اخذه من الاحجار الزبرجة فقد
استرقته وشغله الحزن لحفظها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت
تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقا
عليه مؤذيا بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر وقد اثر
فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت منه الاسقام بتلك الروائح

فبلغ سقيما من برد او من حر قريبا مما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة
ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل
الى الوطن سالما فهذه امثلة اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة
ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح بمن يزعم
انه بصير عاقل ان يغتر باحجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت
وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو
في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن
حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت
والمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض
ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع
ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام **القسم الاول**
ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل
بنيته واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تع وقد يانس العالم بالعلم
حتى يصير ذلك عنده الذ الاشياء فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته وقد صار
حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا
وكذلك العابد يانس بعبادته فيستلذها وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة في جملة
ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو
من الدنيا ولذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا
المذمومة **القسم الثاني** وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا
ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم من المباحات الزائدة على
قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم

بالقناطير

بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان
والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة
فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة فيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر
طويل اذ روي ان عمر استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين
فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم
ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك
انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل
فيه **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة
كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان
البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه
معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به
على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه
الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا
ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس
الدنيا وانسه بذكر الله تع وحبه لله تع وصفاء القلب وطهارته لا تكون الا بالمعرفة
ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات
اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل
عنه فاذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة
يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما موصلان
للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان
يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة **كتاب ذم حب المال**
وذم البخل وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلي وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال
وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين البخل والجود والفرح بالموجود
والاسف على المفقود كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا ولينظر ايهم اثر الدنيا
على الآخرة بدلا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا
وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا وسلم كثيرا وبعد فان فتن
الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف لكن الاموال اعظم
فتنها واطم محنها قال تع يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تع انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تع
الهيكم التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلعم
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلعم سياتي
قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء ويلبسون الين
الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع
وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها
آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون
فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف
خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم
فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا
لاهلها فمن اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال
صلعم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف الاثار
روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا
فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية
البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد ان يفضي الى الطغيان ووضع علي
درهما على كفه ثم قال اما انك لم تخرج عني لا تنفعني وقال الحسن ما اعز الدرهم

احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما
على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا بيان مدح المال والجمع
بينه وبين الذم اعلم ان الله تع قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك
خيرا الوصية الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن
الوصول اليه الا بالمال وقال تع ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تع ممتنا
على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال
عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع
بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله
حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير
ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض بل هو سبب للامرين جميعا
ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم بيان ذم الحرص والطمع ومدح
القناعة واليأس مما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير
قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان
ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا
واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوف
الى الكثرة او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص
وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات
وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم
الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى كثرة العرض
انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص فقال يا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه
ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد في الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا

وهو لغة الآثار قال عمر رضه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من يئس عما عند الناس
استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك
ولذلك قيل العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر اقنع بعيشك ترضه و
اترك هواك وانت حر فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر وكان محمد بن
واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله وقال من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال
ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة
اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك
خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن
اراد عز القناعة ان كان وحده ينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي
طعام كان وان كان له عيال فرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر
يتيسر بادنى جهد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر
والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب الثاني انه
اذا تيسر في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال بل
ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تع اذ قال وما من دابة الا على الله رزقها
الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل قال
النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس الرابع ان يكثر تأمله
في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى ثم ينظر الى احوال الانبياء
والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وساير الصحابة والتابعين ويسمع احاديثهم
ويطالع احوالهم الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه
من خوف السرقة والنهب والضياع فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه
فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره
في الدين الى من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك

منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر
اوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني ولا انظر الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة
قال صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من
هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وقلة الحرص
بيان فضيلة السخاء اعلم ان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه
عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض
فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلعم قال جبرائيل
عليه السلام قال الله تع دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه
بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قال رسول الله صلعم
ما جبل الله تع وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلعم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تع اخذ بيده كلما عثر وقال صلعم ان لله
عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تع
عنه وحولها الى غيره الآثار قال علي رضه اذا اقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى
واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس
ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ادبرت
خلف ورفع رجل الى الحسين بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن
رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله
عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال السماك عجبت لمن يشتري
المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه ورأى الاحنف بن قيس رجلا وفي
يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من
يدك نعم معناه قيل انت للمال الذي امسكته فاذا انفقته فالمال لك وقال
حذيفة رب رجل فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته
حكايات الاخبار عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عايشة رضه

قالت ان الزبير بعث اليها بغرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت
تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز و
زيت فقالت لها ام ذرة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا
بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت وكان ابو مرثد احد الكرماء
فمدحه بعض الشعراء فقال الشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني
الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا
يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة آلاف درهم واخرج
ابو مرثد من الحبس وقال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من
شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها
وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها
احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم
طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا
الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها
فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم
لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم الجاتهما الحاجة بعد ذلك الى دخول المدينة
فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز
في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهو لها
منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال يا امة الله اتعرفيني قالت لا
قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم
امر الحسن فاشتروا لها من شاة الصدقة الف شاة وامر لها معها الف دينار وبعث
بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف
دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال

بكم

بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها بالفي دينار و
الفي شاة وقال لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى خبائها باربعة آلاف
شاة واربعة آلاف دينار وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة
فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض
خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على
خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء
فلما بصر الخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب ايا جود معن ناج معنا
بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال كيف
قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه
فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرا ما فيها ودعا بالرجل فدفع
اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذها ما اعطاه وخرج
فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن
حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار **باب ذم البخل** قال الله تع
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تع ولا تحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله الى يوم القيمة وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلعم اياكم والشح فانه اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم فاستحلوا محارمهم وقال صلعم اياكم
والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم
ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلعم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين
ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان **الآثار** قال ابن عباس
لما خلق الله جنة عدن فقال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك
فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان
انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك

وحيك وحككك من عينك فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن
دخلني فقال الله تع وعزتي لا اسكنتك بخيلا وقال علي رضي الله عنه في خطبته سيأتي
على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تبارك وتع
ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي
يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل
بما في يديه وقال محمد بن المنكدر اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل
ارزاقهم بايدي بخلائهم **حكايات البخلاء** قيل اقبل اعرابي اطلب رجلا وبين يديه
تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران
شيئا قال نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال اين والتين فقال هو تحت كسائك
ويحكى ان محمد بن يحيى بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يالفه
عنه وقيل له صف مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب
الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبين قال افما ياكل معه احد
قال بلى الذباب فقال سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال اي والله
ما اقدر على ابرة اخيطه بها قال هلا استعرتها منه قال ولو ملك محمد بيتا
من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاء جبرائيل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي
عليهم السلام يضمنون عنه ابرة ويسألونه ان يعيرهما لتخيط بها قميص يوسف الذي
قد من دبر ما فعل ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه شبه الجنون
فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى
بيان الايثار وفضله اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات
السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه واما السخاء فعبارة عن بذل ما لا يحتاج
لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكذا البخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع
الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل
بالثمن ولو وجده مجانا لاكله وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تع على

الصحابة

الصحابة فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلعم ايما امرء اشتهى شهوة
فرد شهوته واثر على نفسه غفر له **بيان حد السخاء والبخل** قد قال قائلون حد البخل
منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه ليس ببخيل فنقول هذا غير كاف فان من يرد اللحم
الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا وكذلك
من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او
تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا وقال القائلون البخيل يستصعب العطية وهو
ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب
العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها وان اريد انه يستصعب بعض
العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او مال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل
وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير روية وقيل
الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء
لما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تع والعبد لله تع فيعطي عبد الله
مال الله من غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن
بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة
فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة
بحقيقة البخل والجود **فنقول** المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات
الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف
الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن الصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ
ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك
تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط
بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر

بقدر الواجب ولا ينبغي ان يفعل ذلك ما لم يكن قلبه طيبًا به غير منازع له فيه فان بذل
في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس يتيسر بيان ذم الغنى ومدح
الفقر ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره المحاسبي رضه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من
الاغنياء حيث احتج باغنياء بعض الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم
وقد قال بعد كلام له في الرد على العلماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء
السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون
فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا
جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى
فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا
كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع فيها رغبته ثم قال
الحارث ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله فانما
يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون المعاذير والحجج ويزعمون ان رسول الله صلعم كانت لهم
اموال فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ويحك ايها
المفتون احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك
لتهلك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت
السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازريت
بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين عليهم الصلوة والسلام ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد
في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ومتى زعمت ان جمع المال الحلال
اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال ومتى
زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال
وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة
رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد
الرحمن بن عوف فسألها فقالت سمعت رسول الله صلعم يقول اني رايت الجنة ورايت

فقراء

فقراء المهاجرين يدخلون سعيًا ولم ار احدًا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن
عوف رايته يدخلها معهم حبوًا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان
ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلعم قال لعبد الرحمن بن عوف
اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوًا ويحك
ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه
المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه
بالجنة يوقف في عرصة القيمة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع
المعروف وانفق منه قصدًا واعطى في سبيل الله سخاء منع من السعي الى الجنة مع الفقراء
المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوًا فما ظنك بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا

كتاب ذم الجاه والرياء

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم
بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب والصلوة على محمد وعلى آله واصحابه المبرائين من الخيانة
والافك وبعد فقد قال رسول الله صلعم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية
والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء
في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد
والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد
المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وحملوها على
العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير
واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه
بعين الوقار والتعظيم وهذه مكيدة النفس لا يسلم عنها الا الصديقون ولذلك قيل آخر
ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو
اعظم شبكة الشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته وبيان اقسامه وطرق معالجته

كتاب ذم دا

المتفرد بالملك والملكوت فهو اغنى الاغنياء
عن الشرك صح

الى نقمته

وينفتح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الاول في حب الجاه والشهرة اعلم
ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله
لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلعم حسب امرئ من الشر
الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان
يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم
والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له
يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما
عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضه تبذل لا تشتهر ولا
ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال
ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وعن خالد بن معدان انه كان
اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة
فقال ذباب طمع وفراش نار بيان فضيلة الخمول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك
وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلعم فقال ما
يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان
الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة بيان ذم الجاه وحب الجاه قال الله تع تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل
بيان معنى الجاه وحقيقته اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان
المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها بيان ما يحمد من حب

الجاه فالدنيا مزرعة الآخرة فكل خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة فلا بد من ادنى
جاه لضرورة المعيشة مع الخلق كما لا يستغني عن طعام يتبع ولا يجوز ان يحب الطعام
او المال الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق
يعينه وسلطان يحرسه فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة
ليس بمذموم وحبه لان يكون له المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس
بمذموم وان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون
المال والجاه في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك بمنزلة حب الانسان ان يكون له في داره
بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة
حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب بيت الماء فكل ما يراد للتوسل
الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه بيان علاج حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه
حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم
ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق
ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين
وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر الباطن بالقول
او الفعل وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب
الجاه فهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقرينا ان ذلك ان صفا وسلم
فآخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض
من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود له فكل ما يبنى على قلوب
الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب في حفظ
الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه
فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة واما من حيث العمل فاسقاطه
الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق ويفارقه
لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية

اذا تمموا الفواحش فحصرتها وهذا غير جاير لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يتقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار **اما** الآيات فقوله تع فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تع والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزلت فيمن طلب الاجر والحمد بعباداته واعماله **واما** الاخبار فقد قال النبي صلعم حين ساله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل بطاعة الله يريد بها الناس وفي حديث طويل ان الله تع يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلعم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء واما الآثار فروي ان عمر رضه راى رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وقال علي رضه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال عكرمة ان الله يعطي الرجل على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل لان العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما طرا بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره ثم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء

ولكن

عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرات البارحة البقرة قال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلعم انه قال لرجل قال صمت الدهر يا رسول الله ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرا بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه يثاب على عمله الذي مضى ويعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلوة وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في اسرار الاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فايدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فايدة ولذلك اثنى الله تع على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل القسم الاول كالصدقة في الملاء لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلعم من سن سنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري سائر الاعمال هذا المجرى الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره والمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احديهما ~~لا يمكن اسراره~~ ان يظهر حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك

ذلك اطلعنا والثالثة ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر
الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله
الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك
وهو لا يشعر القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه
والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة و
مبالغة والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده
مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل
مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات بيان الرخصة في كتمان الذنوب
وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء
السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل
العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي
اطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها
كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع
الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك
فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور
ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا
هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي له ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح
اغتمامه لاطلاع الناس عليه بيان ترك الطاعة خوفا من الرياء ودخول الآفات
اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا وذلك غلط وموافقة للشيطان
بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم
الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما
تصير لذيذة من حيث توصل به الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس
عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء

والولايات

والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير
ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق لما فيه من اللذة القسم الاول الطاعات اللازمة
للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاثة
احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين
فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن
يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع
في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه
فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه
الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى
ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص
وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين
عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل
الجنة ثلاث المقسط وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ترد دعوتهم الامام الامام صح
العادل احدهم فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون
منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظم الخطر اذ تتحرك بها الصفات
ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا
صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع
من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد من مكانته
وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين
سنة لمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر كان يقول عمر رضي الله عنه من يأخذها بما فيها
وكيف لا وقد قال النبي صلعم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه
اطلقه عدله واوبقه جوره رواه معقل بن يسار وقال النبي صلعم يا عبد الرحمن
لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها بمسألة

وكلت اليها واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان
كان ذا ولاية امر له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم
مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلعم القضاة ثلاثة
واحد في الجنة واثنان في النار فحكمه حكم الخلافة ينبغي ان يتركها الضعفاء وكل من
للدنيا ولذاتها وزن في عينه واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد
العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة
الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا
وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي وان الواعظ
يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم
عليه لذة لا يوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال قلبه الى كلام مزخرف يروج عند
العوام وان كان باطلا ونفر عن كل كلام تستثقله العوام وان كان حقا ويصير
مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا
وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره في راس المنبر وكان ينبغي ان
يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك الدين ليعمل به اولا
ثم يقول اذا انعم علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها
ليشاركني في نفعها اخواني المسلمين فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والحكمة والفتنة فحكمه حكم
الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر
فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته
ويامن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت
العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة
وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها
بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو
تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد

وبطلت

وبطلت المعايش فلم نهى مع ذلك واستأذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلوة
الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى
فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج اليه الناس
في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما بينهما ح
قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القضاء ولم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها
وكذلك حب الرياسة من الخلق في العلوم لا يترك تدريس بل لو حبس الناس وقيدوا
بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها الفتوى والرياسة لافلتوا من
الحبس وكسروا السلاسل فطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام
لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني
اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عن الخوف الا
امتناع بعضهم والا فنعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن
في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته
في الظاهر وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا فلا نمنعه
منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست املك نفسي فنقول له اشتغل و
جاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه
الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده
فنجعله فداء للقوم لعل هذا الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد
هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الامارة الخلافه ح
ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم وليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره
بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما
دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء
فترك الاظهار انفع واسلم وكذلك نوافل الصلوة اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب

وجب تركها وبالجملة المراتب ثلاث الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد
تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلوة والصوم والحج والغزو
وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف
الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الثالثة
وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية و
التدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان
لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء
رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات
اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي
جمع المال واخذها للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلاب
الثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات ايضا فيها كثيرة ولذلك
سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق فقال القاعد
افضل لما تعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله
وقال ابو الدرداء ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين
دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر بها تركك
للدنيا ابر كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الخالق البارئ المصور
العزيز الجبار المتكبر فهو القهار الذي لا يرفع عن مراده دافع الغني الذي ليس في
ملكه شريك ولا منازع والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى
اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله
واولياؤه وسلم كثيرا وبعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة
ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته بيان ذم الكبر قد ذم الله الكبر

العلم

في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين وقال كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار وقال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من ايمان
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم يقول الله تع الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن
عمر وعبد الله بن عمرو على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما
يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلعم
يقول من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وقال
صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تع
للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب
بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها الآثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما
خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن
قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه
فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا
لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم
يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفي انفسكم
افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول بيان فضيلة التواضع قال رسول الله
صلعم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال
صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع نفسه
جبذاها قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وروي ان النبي

صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه
زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه
ثم قال اطعم فكان رجل من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به
زمانة مثلها فقال رسول الله صلعم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا
نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل عليه السلام فرفعت رأسي
فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اذا رأيتم المتواضعين
من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة
وصغار **الآثار** قالت عائشة انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن
اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل
وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته
من اجهل الناس قبلته وكان سليمان داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء
والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين ويقال من راى لنفسه
قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر
منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان
على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه **بيان حقيقة الكبر** اعلم ان الكبر ينقسم
الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم
الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب
للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو
الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه
فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي
غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان
يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال
فعند ذلك يكون متكبرا **بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع**

والتكبر

والتكبر اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه
وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر
في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي
سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض
ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضيه
من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام
وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه
لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو
الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه ومنها ان لا يزور غيره وان كان
يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري
قدم الرملة فبعث ابراهيم بن ادهم اليه ان تعال فحدثنا فجاءهم سفيان فقيل له يا ابا
اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من
جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست
الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى
نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني ومنها ان
يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه جدري قد تقشر وعنده اصحابه يأكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه
فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع
خلافه وروي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج فقال
الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه قال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال
افانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا
فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت
وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله

الى بيته وهو خلق من عادة المتواضعين كان رسول الله صلعم يفعل ذلك وقال علي رضي
لا ينقص الرجل ما حمل من شيء الى عياله ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال
هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده
الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي في ازار مرقوع
فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة
الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من
الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب
الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار
اليه رسول الله صلعم وهو الذي عرفه الله كما من حال ثابت بن قيس انه قال اني امرؤ
حبب الي الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا التكبر على غيره وبالجملة فالاحوال
تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة
وقد قال صلعم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب
ان يرى اثر نعمته على عبده ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه
فذلك هو الاصل وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري
ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب
لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية
وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان
يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب و
ياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان
يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله ويصافح الغني والفقير والصغير و
الكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل

الصدق

فصل اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

الصدق ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه ولا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان
اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع عشاء لغداء ولا
غداء لعشاء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام
من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم
بكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده الى
طمع قال ابن ابي سلمة فدخلت على عائشة ام المؤمنين فحدثتها بهذا كله عن ابي سعيد فقالت ما
اخطأ منه حرفا ولقد قصر وما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا
ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل
جائعا فيطوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه
فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت
رحمة مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر
ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو
اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي
غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله
ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله فما نقل عن احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق
المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محمد صلى الله عليه وسلم
فلم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله ولقد كان اعظم خلق الله منصبا في
الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي انا قوم اعزنا
الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام
بيان ذم العجب اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تع وسنة رسوله قال الله تع ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تع

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعًا وهذا ايضًا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو
مخطي فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة
فقال اذا رايت شحًا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك
قال ابن مسعود الهلاك في الاثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة
لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمير والقانط لا يسعى والمعجب يعتقد انه قد سعد
وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في
اعتقاد المعجب ومستحيلة في اعتقاد القانط فلما جمع بينهما وقد قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرًا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها
اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب **بيان معالجة الكبر** وفي معالجته مقامان احدهما
استيصال اصله من سنخه وقطع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب
التي منها بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي
وعملي اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه
اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا
عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته و
مجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الصديقين واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر
منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان القرآن
فيه علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه علم
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت
الآية الى اول خلق الانسان والى آخره والى وسطه اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا
مذكورًا وقد كان في كتم العدم دهورًا ثم لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من
المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها
اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظمًا ثم كسى

العظم

العظم لحمًا وقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورًا فهذا معنى قوله من اي شيء
خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورًا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه
فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت وكذلك
قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا انا هديناه السبيل ومعناه
انه احياه بعد ان كان جمادًا ميتًا ترابًا اولًا ونطفة ثانيا واسمعه بعدما كان
اصم وبصره بعدما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق
الاعضاء بما فيها من العجايب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه
بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى
السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين واما آخره ومورده
فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب
روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادًا كما
كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في
التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه
وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميمًا ورفاتا فيخرج من قبره بعد جمع اجزايه المتفرقة
ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيمة قايمة وملايكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة
ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال له اقرا كتابك فيقول ما هو فيقال
كان قد وكل بك في حيوتك التي كنت تفرح وتتكبر بنعيمها ملكان رقيبان يكتبان عليك
ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود فهلم الى الحساب
او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعًا من هول هذا الخطاب قبل ان تنشر الصحيفة
فهذا آخره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فالمن هذا حاله والتكبر
فهو التواضع لفضل الله ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين

كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين فيما يوض من التكبر بالاسباب

السبعة الاول النسب فمن يعتريه من جهة النسب فليداوم قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي نسب لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر تعززه وجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط كل يوم مرتين يتردد الى الخلاء كل يوم مرتين الثالث التكبر بالقوة ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض الرابع الغنى وكثرة المال ومعناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلطان وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان الخامس الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلاً الا اذا كان معهما علم وعمل ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله من معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه ولذلك قال النبي صلعم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار اراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الى قوله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتاباً فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمر بالخير الذي

لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتاً عند الله وقد احب الله منه ان يتواضع وقال ان لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك قدراً فان رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وبهذا ازال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبر يا قصمه الله وقد امرهم الله بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضاً مما يبعثه على التواضع لا محالة السادس التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضاً فتنة عظيمة على العباد وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم

بيان علاج العجب على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب من حيث انه فيه ومحله ومجراه فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب من حيث هو به وباختياره حصل وبقدرته وبقوته تم فينبغي ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وساير الاسباب التي تم بها عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له فاعجابه بنعمة من ايديه ومكسبه كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ومخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة

على محمد مُخرِج الخلق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا
ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور
وبعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة
فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه الا انشراح
الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليها سوى
عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكوة فيها مصباح
المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون
قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور والاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام
والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا
حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية
نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا بيان ذم الغرور اعلم ان قوله تع فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تع ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني
كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلعم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون
سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين خير من ملء الارض
من المغترين وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور
عبارة عن بعض انواع الجهل واشد الغرور غروران غرور الكفار وغرور العصاة و
الفساق المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله
الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا
نقد والآخرة نسيئة وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين

ولذات الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس
حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تع
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج
هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق
الله تع في قوله وما عند الله خير وابقى وبقوله والآخرة خير وابقى وبقوله وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور واما المعرفة بالبيان والبرهان هو ان يعرف فساد هذا القياس فالقياس
الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر
قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل
النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر
يبذل في تجارته درهما ليأخذ به عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة في المتجر
وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار لنقد الاجر
الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا
من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير
جزء من الف الف جزء من الآخرة وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين
خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول اذ اليقين خير من الشك اذا كان
مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه
رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك و
كذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان
لم اتجر بقيت جايعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب
الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول
ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة
فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلايل وهو منتهى العمر قريب بالاضافة الى
ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت

في العدم من الازل الى الآن لا انتعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى
في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا
فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا على شك
منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما
الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين و
ليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل
الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته
وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة عن آخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن
نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم
ويعمل به واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام
للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه
كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد
صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء على ما هي عليها فشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع
وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله ولله الامر والخلق فالاجسام
ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود
منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار
اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف
نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه هبوطه
لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم
عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته
فانها في جوار الرب تعالى فانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي
الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه

وربه ومهما نسي ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم
يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري

بيان اصناف المغترين

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية
وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي واغتروا بعلمهم وفرقة
اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا
قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة و
العلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم
ان ذلك مذموم ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء الشرك الخفي والى قوله لا
يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق
مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند
الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ثم اذا ظهر عليه مخايل
الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم
ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب
وجلست في الدون من المجلس لشمت اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام
ونسي ان عدوه الذي حذره مولاه هو الشيطان فانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي
عليه السلام بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا
قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العزة في غيره وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاه
رتبة من يتكلم في اخلاق النفس من الخوف والرجاء والصبر والشكر ونظائره وهم مغرورون
يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين
بهذه الصفات فهم منفكون عنها عند الله الا عن يسير لا ينفك عنه عوام وغرورهم اشد

اشد الغرور لانهم يظنون انهم ما تحرروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق
دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون
ولولا انهم مقربون عند الله لما عرفوا معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية
قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو آمن
من الله تع ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضا
الله تع وهو من الساخطين وترى انه من المتوكلين على العز والجاه والمال ويصف
الرياء ويذكره ويراي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق
الرياء الى غير ذلك **الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل** والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم
فرقة اهملوا الفرايض واشتغلوا بالنوافل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب
عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع و
يقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات
القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام
لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضي عمر رضيه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال
النجاسة وفرقة اخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعه الشيطان حتى
يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى يفوت الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان
تم تكبيرة فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وفرقة اخرى يغلب عليها الوسوسة
في اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات
والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره
ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره فانه
لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام
وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة والسنتهم
تجري به وقلوبهم تتردد في اودية الاماني اولا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره
ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك

مما ذكرنا في تلاوة القرآن **الصنف الثالث** المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون
منهم فرق ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق
والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئاتهم وفي ادابهم و سمتهم
وفي اصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة و
الجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء
وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم
فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة
القلب وتطهير الباطن من الاثام الجلية والخفية وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة
الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف
هذه الامور الا بالاسامي لانه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن
ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين و
اصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك
يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو
يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء
فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله
محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله
من الفجار المنافقين وفرقة اخرى وقعت في الاباحة وطووا بساط الاحكام
ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم
اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الخلق تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا
وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا
وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة و
الغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد لحكم العقل والشرع ويقول بعضهم
الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله

ذواصلة الى معرفة الله وانا نخوض الدنيا بابداننا نحن مع الشهوات بالظواهر لا
بالقلوب ويزعمون انهم قد ارتفعوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس
بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون
درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة
حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وفرقة اخرى جاوزت حد هولاء
واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد
من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تع ويزعم
انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل
معرفته وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منها الحلال الخالص و
اهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه
وملبسه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب
الحلال فقط ولا يرضى بساير الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد الطاعات والمعاصي كلها
وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا
قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وفرقة اخرى انفتحت لهم
ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رايحة تعجبوا منها وفرحوا بها فتقيدت قلوبهم
بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل
ذلك غرور لان عجايب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة قصرت خطاه
وحرم عن الوصول وفرقة اخرى جاوزوا هولاء ولم يلتفتوا الى ما تيسرت لهم
من العطايا الجزيلة جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله فظنوا
انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى
حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ابرهيم
اذ قال الله تع اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به
هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست

واحدة والجهال تعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغتر
السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله وهي على طريق السالك ولا يتصور
الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر
النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما راى
ملكوت السموات حيث قال تع وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور
ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول
قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال
هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن
ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك
هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله
وبين العبد هو نفسه فانها ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي
يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل
وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر
محجوب بمشكوة هو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله
عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفايق ما يدهشه فربما يسبق
لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه
وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن
الشمس فهو مغرور الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم فرق فرقة منهم يبنون
من اموال كسبوها من الظلم والرشا والجهات المحظورة وكان الواجب عليهم ردها الى
ملاكها اما باعيانها واما رد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب ردها
الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم
التفرقة على المساكين وفرقة ربما اكتسب المال من الحلال وانفقت على المساجد وزينوها
بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود

من الصلوة للخشوع وحضور القلب اذ المسجد للتواضع والحضور القلب مع الله قال مالك
بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي يدخل بيت الله فكتب على
الكاتب صديقا عند الله فبهذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه
جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام فانه ربما يكون في جوار او يدفع فقراء
وصرف المال اليهم اهم وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد
ما احسنه فقال امتي امتي اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه
بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي يعجبكم شيئا وان
احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير
ذلك قال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل
وقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه تنقشه فغرور هذا
انه راى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة ينفقون الاموال والصدقات على الفقراء والمساكين
ويطلبون بها المحافل الجامعة ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ
منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما
يتركون جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون
عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين يهوي باحدهم بعيره بين القفار
والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وفرقة يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل
ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل
وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهم يحتاجون
الى قمعه باخراج المال وفرقة غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم
يخرجون من المال الخبيث الردي ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حوائجهم او
من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم في الجملة غرض وكل ذلك مفسدات
للنية وفرقة اخرى من عوام الناس وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر
واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ
اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة

ن

فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل وربما يغتر بما سمعه من الوعظ من فضل حضور
المجلس وفضل البكاء وربما يدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا
يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه
قد اتى بالخير كله فهو مغرور ومثاله المريض يحضر مجالس الاطباء وما يجري وذلك لا يغني
عنه من مرضه شيئا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز
منه فهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول
الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر الياس واستعظم الامر واذا قوي منه الهوى اهتدى
الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق الى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اراد
ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه فاستنزله واراد ان يستخرج الحوت
من اعماق البحر فاستخرجه واراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاستخرجها
واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فانه ياخذها ويستخرج الترياق
من اجوافها واراد ان يستسخر السباع والفيلة واعظم الحيوانات فانه يستسخرها
واراد ان يستخرج الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذ واراد ان يعرف مقادير
الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بطريق الهندسة وهو مستقر على الارض الى غير ذلك
من دقائق حيل كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر اخرته
فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه عجز عن تقويمه وتخاذل وقال المحال بل يقال
لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم
باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته **كتاب**
التوبة وهو الكتاب الاول من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الذي بتحميده
يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب
الارباب ومسبب الاسباب ونصلي على نبيه محمد وصحبه الكرام صلوة تنقذنا من هول
المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب **اما بعد**

فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق
السالكين وراس مال الفائزين ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول
في حد التوبة وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال
وانها اذا صحت كانت مقبولة الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب الثالث
في بيان شروط التوبة الرابع في السبب الباعث على التوبة الركن الاول في نفس التوبة
اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل اما
العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب
فان القلب مهما تحقق بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على
الفعل المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب انبعث من هذا الالم في
القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي والاستقبال
واما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال
فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات
بالقضاء والجبران كان قابلا للجبر وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم
وحده وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن
علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني
ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق
من الخطا بيان وجوب التوبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي كل حال اما وجوب
التوبة فبالآيات والاخبار وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته و
شرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في
ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة واما من لم يتسع لترقي هذا
المقام المحمود المرتفع ذروته عن صدور اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب
يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين قال
الله تع وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال تع يا ايها الذين

آمنوا

آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الآية ومعنى النصوح الخالص
لله خاليا عن الشوائب ماخوذا من النصح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له والاخبار والآثار فيه كثيرة لا تحصى والاجماع منعقد من الامة
على وجوبها اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان
وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه
المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون
باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون
باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني
الزاني وهو مؤمن حين يزني وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم
بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد فيه ؟
به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله موجبا للمقت فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان
وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق اما وجوب التوبة على جميع الاشخاص فظاهر الكتاب قد دل
على هذا اذ قال الله تع وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ
معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك
الا من عاقل واما وجوبها على الدوام في كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه
اذ لم يخل عنه الانبيا كما ورد في القران من توبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض
الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب وان خلا عن الهم بالذنوب بالقلب
فلا يخلو عن وساوس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو
عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه
بالتشاغل باضداده رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع فان قلت لا يخفى ان
ما يطرا على القلب من الهم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة
كنه جلال الله وانه كلما زادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقص رجوع

والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن
هذه الامور ليست بواجبة اذ ذكرنا الكمال عن واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة
في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدء خلقته عن اتباع الشهوات اصلا
وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى واليه الاشارة بقوله عليه السلام
اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذن لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه
بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه
ثم اظلم باسباب فان قلت ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان
احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق
لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا
بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد
للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات
ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به الى القرب
المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجب
في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يوصل اليه
الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة ليست واجبة
عليه لاجلها فاصل الواجبات الداخلة في فتوى الشرع لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل
النجاة كاصل الحيوة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي النجاة يجري مجرى
الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحيوة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء حتى انتهى
عيسى صلوات الله عليه الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت
الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك بهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع
راسك على الارض فرمى عيسى بالحجر وكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان
عيسى عليه السلام لم يعلم ان ترك وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة
افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلوته نزعه

وشغله

وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق اما علم ان ذلك ليس واجبا
في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه رآه مؤثرا
في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان وعد به **بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها**
فهي مقبولة قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب الى
غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول
وهو دليل على القبول وزيادة وقال عليه السلام عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار
ان الله
ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء
القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى
تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم والاخبار فيه لا تحصى اما الآثار فقد قال سعيد
بن المسيب رضي الله عنه انزل الله تعالى قوله انه كان للاوابين غفورا في رجل يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام
الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي لئن
عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله
فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة مقبول لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو
متشكك في قبول توبته فاقول الشك في القبول كالشك في وجود شرائط الصحة فان للتوبة
اركانا وشروطا دقيقة كما سياتي **الركن الثاني** فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغايرها
وكبايرها وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من
غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى
مطلب بيان اقسام الذنوب
صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب
القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات
شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية فاما ما تقتضيه النزوع الى الصفات
الربوبية فمثل الكبر والعجب والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنا وحب دوام
البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى

وهذا ينشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا الثانية
هي الصفات الشيطانية التي منها ينشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد
والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة
البهيمية ومنها ينشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج واكل مال
الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها ينشعب الغضب
والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال اعلم ان الذنوب
تنقسم الى صغائر والى كبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة
لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن اذا اجتنب الكبائر وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الكبائر الاشراك بالله
وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس فاختلف الصحابة والتابعون في عدد
الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك وقال ابو طالب المكي الكبائر
سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن مسعود وقول ابن عباس وابن
عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته و
والامن من مكره اربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس
وهي التي يحق بها باطلا ويبطل بها حقا وقيل هي التي تقطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من
اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان
وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة ثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب
واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا وهو يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا واللواطة واثنان
في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف الواحد من اثنين
والعشرة من العشرين وواحدة في جميع البدن وهو عقوق الوالدين هذا ما قاله وهو قريب
ولكن ليس فيه تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربوا و
ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل واما

فقو

فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب
لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي
الخبر من الكبائر السبتان بالسبة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة
هي كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا ولا مطمع
في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث
اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات
وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الى ما دونه وصغيرة بالاضافة الى ما فوقه ف
فالمضاجعة من الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر اليها صغيرة بالاضافة الى الزنا
نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفه
بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما
عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول
تخصيصه بالذكر في القران يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات
القران ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة
يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان تعلم
معنى قول الله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلعم
الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر وقوله عليه السلام رمضان الى رمضان
كفارة لما بينهما فان هذا اثبات حكم الكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع
الى ما يعلم استعظامه اياها والى ما يعلم انها معدودة في الصغائر والى ما يشك فيه ولا يدرى
حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع
عن رسول الله صلعم بان يقول اني اردت بالكبائر عشرا او خمسا ويفصلها فاذا لم يرد هذا
بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعض سبع من الكبائر علم انه لم يقصد به العدد
والحصر فربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم
جد الناس في طلبه فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر وهو الكفر فلا كبيرة

فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة
وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله بيان ما تعظم به الصغاير من الذنوب اعلم ان
الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قال عليه السلام لا صغيرة مع
الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ومنها ان يستصغر الذنب فان كلما استعظمه العبد
من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه
كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره ومنها
السرور بالصغيرة واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة ومنها
ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد
بالامهال اثما فيكون ذلك لامنه من مكر الله كما قال تع ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان ياتي الذنب ويذكره بعد
اتيانه فيشهد عن ومنها وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون يبيت احدهم على ذنب
قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وقال الله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ومنها ان
يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه قال ابن
عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق
وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق معها اهلها وفي الاسرائيليات
ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تع
الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي
فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء خطر فعليهم وظيفتان احديهما ترك الذنب
والاخرى اخفاؤه فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير من الطعام بالقوت
ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام ويكون له مثل ثوابهم وان
مال الى التجمل مال من دونهم الى التشبه به في حركات العلماء فخطر في الزيادة والنقصان تتضاعف
اثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي يجب التوبة

عنها

عنها الركن الثالث في دوام التوبة الى اخر العمر قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث
عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حايلة بينه وبين محبوبه
اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسياتي واما الندم توجع القلب عند شعوره بفوات
المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكا فمن استشعر عقوبة
نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه
واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر
اصدق من الله ورسوله ولو اخبره انسان واحد يسمى طبيبا ان ولده المريض لا يبرأ
وانه سيموت طال في الحال احزانه وليس ولده اعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق
من الله ورسوله فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة
الندم رقة القلب وغزارة وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة اما القصد
الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور
هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك
ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت بيان اقسام
العباد في دوام التوبة اعلم ان طبقات الناس اربع الطبقة الاولى ان يتوب العاصي
ويستقيم على التوبة الى اخر عمره فيتدارك ما فرط فيه من امره ولا يحدث نفسه بالعود
الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة
هذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات
حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس
المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تع وضع الذكر اوزارهم
فوردوا القيامة خفافا الطبقة الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في امهات
الطاعات وكباير الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد
وتصميم وتجريد قصد ولكن يبتلي بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام

عليها

ولكنه لما اقدم عليها لام نفسه وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من
اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم
صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمير راي
وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب
احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه
ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فيترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة
السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تع قال الله تع
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة
عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال الله تع والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم
انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه علي رضي خياركم كل مفتن تواب **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة
مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة
الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته
هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا
امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ليتني لم افعله وساتوب عنه واجاهد
نفسي في قهرها وصاحبها من الذين قال الله تع فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو
فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره فربما يختطف قبل
التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة
التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق
عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم
دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين **الطبقة الرابعة** ان يتوب

ويجري

ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود على مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان تحدث
نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته
فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء والفرارة من الخير ويخاف
على هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله تع فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا
آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين
ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان
خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم
من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد
والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز
في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر
استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون
كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم وكما من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم
انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي
البصائر من الحمقى وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة
من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة فكذلك من ينتظر المغفرة من
فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك المغفرة **بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب**
اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده فان لم تساعده
النفس على العزم على الترك لغلبته فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك
الواجب الثاني فهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا
وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح
فاما بالقلب فيكفره بالتضرع الى الله سبحانه وتع في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل
تذلل العبد الآبق **واما** باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب

ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ذنوب الاستغفار وأما بالجوارح
فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم
ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل
عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان
بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين
وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فاعلم انه قد ورد في فضل
الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله
الاستغفار ببقاء الرسول قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان
من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة استغفر الله
وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير ان يتأثر به قلبه فاما اذا انضاف
اليه تضرع القلب الى الله تع فهذه حسنة في نفسها وعلى هذا يحمل الاخبار الواردة
في فضل الاستغفار حتى قال عليه السلام ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة
وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا يخلو عن الفائدة وان لم ينته الى اواخرها
ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في
كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا
تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل حسنة قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا
عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة
ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على الله
بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر
فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان
ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو
الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضى

زاده

زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش
وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه
جميع ما ذكر في قوله تع التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه
محبوبه والمقصودان للتوبة ثمرتين احدهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له
والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل
الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له وتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار
بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات وليس
يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة
وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق
وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر بل اقول الاستغفار
باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة
او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك
قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي رضه ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقران و
قلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله
في الشر ولم يعوده الفضول **الركن الرابع في دواء التوبة** وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار
اعلم ان كل داء حصل بسبب فدواؤه حل ذلك السبب ولا سبب للاصرار الا الغفلة
والشهوة ولا يبطل الشيء الا بضده ولا ضد للغفلة الا العلم ولا ضد للشهوة الا الصبر على
قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال الله تع اولئك هم الغافلون لا جرم
انهم في الآخرة هم الخاسرون فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو
العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل
كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهله دينهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان
يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس بنفسه فانهم ورثة الانبياء وهذا فرض عين على
العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا

بعلم الكامل دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل
والفرع فالدنيا دار مرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم
ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل
مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم سلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض
الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره
عن سائر الناس كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله المؤيد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة
على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء اما بعد
فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاخبار وشهدت له الآثار وهما
ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا
فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد
الشطر الاول في الصبر وقد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف
وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير الا الصبر وقد جمع الكتاب في مقام الصبر بطول واما الاخبار
فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على
مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان يفتح
عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب
ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم
الآية وروى جابر رضي الله عنه انه سئل صلعم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وسئل مرة
ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال ما اكرهت
عليه النفوس والاخبار فيه مما لا يحصى واما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب

الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عليكم بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر
من المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله واعلم ان الصبر ملاك الامر وذلك بان
التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعائم اليقين
والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد
لمن لا رأس له وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر بيان حقيقة الصبر
ومعناها فاعلم ان الله تعالى بفضله وسعة جوده اكرم ابن آدم فوكل به عند كمال شخصه
بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فصار الانسان بنور الهداية
يعرف ان اتباع الشهوات له غائلات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية
كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده و
يقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة
يقوى وذلك بحسب امداد الله عبده بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في
الخلق اختلافا لا ينحصر ولنفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى و
الحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد وباعث الدين من مدد الملائكة الناصرين
لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة
عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة
الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة
ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره
حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث
الدين حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا
والآخرة وهذان الملكان المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما
وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين والعبد طوران
في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين
ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية

فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال موضع صاحب اليسار تارك
للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فيكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده
فيثبت له حسنة وانما يكتب ان صحايف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب
حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحايفهما وجملة ما يتعلق
من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار
في هذا العالم ثم ينشر الصحايف المطوية مرتين مرة في القيمة الصغرى ومرة في القيمة
الكبرى واعني بالقيمة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت
قيامته وفي هذه القيمة يكون العبد وحده وعندها يقول له ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم حسيبا واما في القيمة الكبرى
الجامعة لكافة الخلق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق
المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا **بيان** الاسامي التي تتجدد للصبر
بالاضافة الى ما عنه الصبر اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق
بالبدن وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر
وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا
عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه
عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وان
كان في احتمال الغنى تسمى ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب
ومقاتلة تسمى شجاعة وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما وان كان في نايبة
من نايب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر
وصاحبه كتوما وان كان في فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان
صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك
لما سيل مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله
اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تع والصابرين في الباساء اي المصيبة والضراء

اي الفقر وحين الباس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذن
هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقايقها من حيث انه راى الاسامي مختلفة والذي
يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقايقها ثم يلاحظ
الاسامي فانها وضعت دلالة على المعاني وهي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن
يطلب الاصول من التوابع لا بد ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تع افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم **بيان اقسام الصبر** بحسب
اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلث
احوال احديها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام
الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر فلا جرم هم الصديقون الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث
الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة وهؤلاء
هم الغافلون وهم الذين غلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي
سر من اسرار القلب فاليهم الاشارة بقوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق
القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فخسرت صفقتهم الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له
اليد عليها وتارة لها عليه واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم **بيان دواء الصبر** وما يستعان به عليه اعلم ان الذي
انزل الداء انزل الدواء فالصبر وان كان شاقا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل
فهما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب فنقول اذا افتقر الى الصبر عن
شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او عينه او قلبه ونفسه
اذ لا يزال يحركه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن مواظبة الذكر والفكر والاعمال
الصالحة فنقول لزمنا ههنا تضعيف باعث الشهوة بالصوم الدائم مع الاقتصاد
عند الافطار والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها

بالحلية او بالنكاح وتقوية باعث الدين بان يكثر فكره في الاخبار الواردة في فضل
الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الآثار ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر
مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة
وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ويمكن تقوية باعث الدين ايضا بان يعود مصارعة
باعث الهوى على التدريج قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها
ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة توكد القوى
التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين وبالجملة الممارسين
للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر
ضعف فيه باعث الدين فلا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة
الهوى قوي عليها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه
وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات
الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه
من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا
بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد
احراز قدر من القوت بعد القناعة ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو
الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في الباطن
في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا
استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك محادثة الشيطان ووسوسته وان
لم يكن له سير في الباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة
والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف الحضور ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم
له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد وتشغله
عن الفكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط اذ لا يستغني عن مخالطة من
يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد انواع الامور الشاغلة واما النوع

الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب
المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا
يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات
ان لم تهجم به ملمة او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف
فيه من اسرار الله في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل
لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال
بالاكتساب والجهد واما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال
والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد
وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن
فانها توازي عمل الثقلين وليس ذلك باختيار العبد **الشطر الثاني** اعلم ان الله تعالى
قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال فاذكروني اذكركم واشكروا
لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال وسنجزي الشاكرين وقال
لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق
بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور **واما الاخبار** فقد قال
صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة
قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون على السراء
والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن **بيان حد الشكر** اعلم ان الشكر من مقامات
السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال
يثمر العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو
القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان فاصل
الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجه كونه نعمة في حقه وبذات
المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فنه الامور

لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها
من الله وهو المنعم والوسايط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد
اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا
عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد
ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة
في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن
هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال
لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال افضل الذكر لا اله
الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شي من الاذكار يضاعف كما يضاعف الحمد لله ولا
تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب
فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله يدل على التوحيد والحمد لله تدل
على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان
واليقين الاصل الثاني الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه
شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شرائطه وشرطه
ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم
لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات
القلوب الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل بالقلب وباللسان
وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات
الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته
فاعلم ان داود عليه السلام وكذلك موسى عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع
الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك
فاوحى الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت
منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السوال وفهم قاصر عن ادراك ما اوحى اليهم فاني اعلم

استحالة الشكر

الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة
منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية
من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال
فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا
نشير منها الى ملامح ان تقنع فنقول هاهنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك
قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في
الوجود غيره وان كل شي هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا فان
نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه وهو الشاكر وهو المشكور
وهو المحب وهو المحبوب ومن هاهنا نظر حبيب ابي الحبيب حيث قرا قوله تع انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى على عطايه فعلى
نفسه اثنى فهو المثني والمثنى عليه النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهي
قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وهولاء العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين
لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو القائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت
وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على ذلك حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث
هم هم لا ثبات لهم ولا وجود وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين
الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد والموجود قائم وقيوم والموجد
هالك وفان واذا كان كل من عليها فانيا فلا يبقى الا وجه ربك القسم الثاني ليس بهم عمى ولكن
بهم عور يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى
ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله وهذا مشرك
تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا وتباين
بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص في الموجود الاخر
دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره
يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون

والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل للطرف التوحيد اذ عبدة
الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوايل ابواب
التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض
الاحوال فيلوح له حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له
ذلك ويثبت زمانا ما ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب
القرب فقيل له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ
بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله
فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة فعل الله فترقى الى مصادر
الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى في ذلك
نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات وترقى سا
فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه راى نفسه
فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا
واقترب فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر
عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان
انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه
فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله
فيستعيذ بفعل من فعل فاقول عليك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد
بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع مسافة ويقرب
من حضرة الملك مع ان ذلك الملك مستغن عن ذلك العبد وخدمته بل لينال العبد درجة
القرب فينتفع بانعامه في حضرته لا لينتفع الملك به او بانعامه فقد انحل بهذا الاشكال
فنقول خلق الله سبحانه الخلق فاعطاهم من النعمة ما يقدرون على اعمال في نيل درجة
القرب فاذن نعم الله تع الات يترقى العبد بها ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر

لموافقة

لموافقته محبة مولاه الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا
ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت
النعمة في جهة المحبة بفعل الله تع فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تع ومن حيث انت
محل فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد
فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر
بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف
وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك
فوصفك بانك شاكر اثبات انك شيئية لك وانت شيء ان جعلك خالق الاشيا شيئا وانما انت لا شيء
اذا كنت انت ظانا انك بنفسك شيئية من ذلك **الركن الثاني** من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة
فلنذكر حقيقة النعمة فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله تع على عباده خارج عن مقدور البشر
كما قال الله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين
في معرفة النعم اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن
النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية غيرها نعمة وسعادة اما غلط واما
مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد
يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق وكل الاسباب المعينة
اللذات المسماة نعمة يشرحها تقسيمات **القسمة الاولى** ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما
هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق
والى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويولم ولكن
ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمال هو النعمة حقيقة كالعلم وحسن الخلق
والضار فيهما هو البلاء حقيقة وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المال بلاء محض عند ذوي
البصاير ويظنه الجهال نعمة **قسمة ثانية** اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة وقد امتزج خيرها بشرها
فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وساير الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه
اكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وساير الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص

كالمال الكثير والجاه الواسع والجمال يكان في ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان
صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع التوفيق نعمة
في حقه ورب انسان يستضر بالمال بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة
عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه قسمة ثالثة اعلم ان الخيرات اما مؤثرة لذاته
لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تع وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء
لها واما لغيره كالدنانير والدراهم فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصى بمثابة
واحد قسمة رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي يدرك
راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال قسمة
خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه
بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع
الحيوانات اما العقلية كلذة العلم والحكمة والبدنية المشتركة فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة
والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات والبدنية المشتركة فيها سائر الحيوانات
كلذة البطن والفرج قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة
لذاتها والى ما هي مطلوبة لذاتها لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها
الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب الاخص
كفضائل النفس والى ما يليه في القرب كفضائل البدن من الاهل والمال والعشيرة والى ما يجمع الى وهو
الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من الاهل والمال والعشيرة
والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية
فاعلم ان في كل نفس ينقبض وينبسط نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب
ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه
بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهكذا في اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة
في كل ساعة قريب من الف نفس كل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف

آلاف

الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء
ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طامنت
راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تع الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وقد حضر
عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصر لا
تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان الله فيه نعمة عليه فلنترك
الاستقصاء والتفسير فانه طمع في غير مطمع الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر في بيان اجتماع
الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله تع في كل موجود نعمة
وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فما معنى
الشكر على البلاء فقد ادعى بعضهم انا نشكر على البلاء فضلا من ان نشكر على النعمة وكيف يشكر على
ما يصبر عنه والصبر يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان فاعلم ان النعمة
النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار
الله واما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه
دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم
الى مطلق ومقيد اما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تع اما مدة واما ابدا واما في
الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد
فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر
المطلوب للنعمة المطلوبة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليها لان الكفر بلاء
ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي فاذا
يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور
ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يكون سبب هلاك الانسان
حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل اولاده والصحة كذلك فما من نعمة من نعم الدنيوية
الا ويجوز ان تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان تصير نعمة

ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد يكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله
لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم
مريضه فاذن قد صح ان الله لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة اما على جميع عباده او على
بعضهم فاذن في خلق الله البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذن
كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر
والشكر جميعا فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون
الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح والاخبار الواردة في الصبر على المصائب
كثيرة فقال رسول الله صلعم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم اذا
وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا وانشر له ديوانا وقال ما من عبد اصيب
بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي و
اعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي و
سقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه
ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه صبره وروي انه لما نزل قوله من يعمل سوء يجز به قال
ابو بكر الصديق رضه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال رسول الله صلعم غفر الله يا ابا بكر الست
تمرض الست يصيبك الاذى الست تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبكم
فيكون كفارة ذنوبكم ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني
احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحب احب الي من ان اكون
ما احب وروي ان زكريا عليه السلام لما هرب من كفار بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا
ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا عليه السلام فان
انة فاوحى الله اليه لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض
زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشطرين وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب

بالنار

بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط
فله السخط انتهى فضل النعمة على البلاء فلعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير
في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسأل الله تعالى البلاء فاقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول
الله صلعم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وعذاب الاخرة وكانوا يقولون هو و
الانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وكانوا
يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم
اني اسألك الصبر فقال صلعم لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية فما اعطي عبد
افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك
فعافية القلب اعلى من عافية البدن فان قلت قد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار
يعبر علي الخلق فينجون واكون انا في النار وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيف
ما شئت فاختبرني فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد
هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان
ادعوا لعمكم الكذاب كتاب الرجاء والخوف وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من احياء علوم
الدين بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه والصلوة على سيد انبيائه وخير
خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير
المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما تقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا بد
اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما
ونحن نجمع ذكرهما في شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف والرجاء هو
ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له
سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صدق وان
كان انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق اصدق من اسم الرجاء
فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق

المفتوح

الردية وانتظر من فضل الله تثبيته عليه الي الموت وحسن الخاتمة المفضية الي
كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات
او ترك القلب مشحونا برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة
فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وقال الله تع فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى و
يقولون سيغفر لنا وانما الرجا بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تع ان الذين آمنوا و
الذين هاجروا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه ان اولئك يستحقون
ان يرجوا رحمة الله وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجو
ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه اعلم ان العمل
على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه والحب يغلب بالرجاء
ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغايب لا سيما وقت الموت قال الله تع لا تقنطوا
من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب ان الله تع اوحى اليه اتدري
لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون ولم
خفت الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلعم
لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله وقال صلعم انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شاء ودخل رسول الله صلعم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك
فقال اجدني ارجو الله واخاف ذنوبي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا
الموطن الا اعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف بيان دواء الرجاء والسبب الذي
منه يحصل الرجا ويغلب اعلم ان حال الرجاء تغلب بشيئين احدهما الاعتبار والآخر
استقراء الآيات والاخبار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم في
كتاب الشكر حتى اذا علم لطايف نعم الله بعباده في الدنيا فالغالب ان امر الآخرة هكذا
يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا
واحدهم

اذا

اذا تأمل حق التامل قوي به اسباب الرجاء الفن الثاني استقراء الآيات والاخبار
فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال الله تع قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلعم
ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تع في الملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض
واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون واما الاخبار فقد
روى ابو موسى عنه صلعم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها
في الدنيا بالزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب
فقيل هذا فداؤك من النار وقال صلعم الحمى من فيح جهنم وهو حظ المومن من النار وروي في تفسير
قوله تع يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تع اوحى الى نبيه اني اجعل
حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذن لا اخزنك فيهم وروي
عن انس رضه عن النبي صلعم سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا
يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تع اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك
لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر الى مساويهم انت ولا غيرك وفي الحديث الطويل ان
الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله عز وجل فقال هو بنفسه قال نعم
فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا
واذا حاسب سامح فقال النبي صلعم صدق الاعرابي الا ولا كريم اكرم من الله وهو
اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها
ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم حرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله قال
الاعرابي ومن اولياء الله قال المومنون كلهم اولياء الله تعالى اما سمعت قول الله
سبحانه وتعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي الخبر خلق الله
جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله تع
انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم واما الآثار فقد قال علي رضع

من اذنب ذنبا فستره الله تع عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة
ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تع اعدل من ان يثني عقوبته على عبده
في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تع
ارحم بي منهما وقال بعض السلف المومن اذا عصى الله تع ستره الله عن ابصار الملائكة
كيلا تراه فتشهد عليه وقال ابرهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة
مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف
بي هاتف من البيت يا ابرهيم تسألني العصمة وكل عبادي المومنين يطلبون ذلك
فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت
المسيئين بالمحسنين وفي حديث ربعي بن خراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو
ممن تكلم بعد الموت فقال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب
عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب
غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلعم ينتظرني و
اصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في طست فحملناه
ودفناه فهذه هي الاسباب التي يجتلب بها روح الرجا الى قلوب الخائفين الآيسين واما
الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده من الخوف فان
اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف **الشطر الثاني في الخوف بيان حقيقة الخوف** اعلم ان الخوف عبارة
عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة
الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجلال الحق على
الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من
الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي
حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها
فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة المحب اذا اشتغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفوات
كان ذلك نقصانا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم

في

في اوايل المقامات فنقول العلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق
القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة
علمه بالاسباب يقوى وبحسب ضعفه يضعف فكذلك الخوف من الله تع تارة يكون
لمعرفة الله تع ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع
وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب
معرفته لعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه وانه لا يسأل عما
يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلعم
انا اخوفكم لله ولذلك قال الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت
المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة الى البدن وعلى الجوارح
وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد
تنشق منه المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث
القنوط واليأس واما بالجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات واما في الصفات
فهو ان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فيصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة واقل درجات
الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات
ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا
تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد
يحمله على ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم
اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى
دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه
جدير بان يسمى صديقا **بيان درجات الخوف** واختلافه في القوة والضعف اعلم
ان الخوف محمود وربما يظن ان كل محمود ما هو فكلما كان اقوى واكثر كان
احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تع به يسوق عباده الى المواظبة على العلم
والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تع والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط

وكذا القسي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في القسر محمود فكذلك الخوف له قصور
وافراط واعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى
رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء ويفيض الدموع و
كذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة
واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط و
هو مذموم ايضا لانه يمنع من العلم والعمل فان قلت فمن خاف فمات من خوفه فهو شهيد
فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته
من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه
فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله
فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات
المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او
مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او ولي يموت حتف انفه فلا ينبغي ان يظن
هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله **بيان اقسام الخوف** بالاضافة
الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون
مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره المعاصي
لادائها الى مكروه في الآخرة ومقام الخائفين يختلف فيما يختص يغلب على قلوبهم
من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين
يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف
ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها
بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات
المألوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز في عباد الله
او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر
النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته وحيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف
تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف الاغترار

برجاء

برجاء كاذب او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة
في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع
الله على سريرته في حالة غفلته عنه او خوف الختم عند الموت بخاتمة السوء او
خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد
خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى الخوف فمن خاف استيلاء العادة
عليه فليواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل
بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام **بيان فضيلة الخوف** اعلم ان
فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار اما الاعتبار
فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر اعانته في الافضاء الى سعادة لقاء الله
اذ لا مقصود سوى السعادة ولا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا
بتحصيل محبة والانس ولا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر
والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا
ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا ينقمع الشهوة بشيء كما ينقمع بنار
الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات واما بطريق الاقتباس من الآيات
والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على
على فضيلته جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع
مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف
ثمرة العلم والذكر جاء في خبر موسى عليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون
فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء
والذكر لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على
الله كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى منتجه فهو العلم وان نظر الى ثمرته

فهو الورع والتقوى وانما التقوى عبارة عن كف يقتضيه الخوف والذكر قال الله تع ان اكرمكم
عند الله اتقيكم ولذلك وصى الله تع الاولين والآخرين بالتقوى فقال تع ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام
لابن مسعود رضه ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله
دله الخوف على كل خير وقال صلعم قال الله تع وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين
فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال
صلعم من خاف الله عز وجل خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء بيان ان
غلبة الخوف افضل او غلبة الرجاء او اعتدالهما فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك
لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح
ان يعتدل خوفه ورجاؤه وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض اولاده يا بني خف الله
خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى
انك ان اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك بيان الدواء الذي به يستجلب الخوف اعلم
ان ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر
لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن
قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من
النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر
على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف
ولذلك قال علي رضه من اشتاق الى الجنة سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن
المحرمات ثم تؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لله
ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام
بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب وفعله والثقة بعنايته
وهو التوكل فاذن في ما ذكرناه في الصبر كفاية بيان معنى سوء الخاتمة فان قلت ان
اكثر هؤلاء رجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على

رتبتين

رتبتين احدهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة ان يغلب على سكرات
الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون
ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب
المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة
من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق
قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه
اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تع حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ
نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى
الله تع فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد اطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في
حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه وعند ذلك تعظم الحسرة
الا ان اصل الايمان وحب الله تع اذا كان قد رسخ في القلب بمدة طويلة وتأكد ذلك
بالاعمال فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة
حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم
يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين بيان احوال الانبياء و
الملائكة في الخوف روت عائشة رضها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء
وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك
خوفا من عذاب الله وقرأ صلى الله عليه وسلم اية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تع وخر موسى
صعقا وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرائيل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله
تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تع هكذا
كونا لا تأمنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة
من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس رضه انه عليه السلام سأل جبرائيل ما لي لا ارى ميكائيل
يضحك فقال جبرائيل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وروي انه عم كان اذا دخل
في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم

خليل الرحمن صلوات الله عليه اذا قام في الصلوة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال عيسى عم
معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان عن
من النار وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب
الفردوس قليل وقيل كان الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع
اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبرائيل فيقول له الجبار يقريك السلام ويقول هل
رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبرائيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه
احوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله تع
وبصفاته **بيان احوال الصحابة** والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف
روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال للطاير يا ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا
وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني
اذا مت لم ابعث وقالت عايشة وددت اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر رضع
كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما
تبنة فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي
يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال علي رضع وقد سلم عن صلوة الفجر وقد علاه كابة
وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيا يشبههم لقد كانوا
يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون
كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما
يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم
باتوا غافلين ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وكان المسور بن
مخرمة لا يقوى ان يسمع القراة من شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده الحرف والاية
فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرا عليه يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا
من المجرمين ولست من المتقين اعد علي القول ايها القاري فاعاد عليه فشهق شهقة

فلحق

فلحق بالآخرة وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله تع هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة
كيلا يموتوا من خشية الله وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي
حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلعم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال صلعم
جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا
ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي
عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا آوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه
يا ميسرة ان الله تع قد احسن اليك هداك الى الاسلام وقال اجل ولكن الله قد بين لنا انا
واردو النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها فهذه مخاوف الانبياء والاولياء
والعلماء ونحن اجدر بالخوف ومن العجايب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا
واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا
في حفظه وتكراره ونجتهد في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا
فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدايم المقيم قنعنا بان نقول
بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاونا وبه اغترارنا ينادينا
ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا
فما هذه الا محنة هايلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا
فنسال الله تع ان يتوب علينا بل نسأله ان يشوقنا الى التوبة سرا قلوبنا وان
لا يجعل حركة اللسان بسوال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل
ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا
فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تع ان يمن بالتوفيق والرشد
علينا بمنه وفضله **كتاب الفقر والزهد** وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتاب
احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الذي خلق الانسان
من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه

منور الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال
والصلوة والسلام على نبيه محمد المنعوت باجمل الشيم واعدل الخصال وعلى آله
واصحابه خير الاصحاب وخير الآل اما بعد فنحن الآن نذكر الفقر في شطر من الكتاب
والزهد في شطر آخر بيان حقيقة الفقر اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه
اما فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن
المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج
الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فنقول
كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود
محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال الحالة الاولى ان يكون بحيث
لو اتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من اخذه مستغنيا ومحترزا من شره وشغله وهو
الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله
ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا
الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان
ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به
وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من
الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد
سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه حريصا
الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد
للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة
واما قوية وقلما ينفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد
والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي
بيانه ووراء هذه الخمسة حالة هي اعلى من الزهد كما كان حال عائشة رضي الله عنها
اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذته وفرقته من يومها فقالت خادمتها لو اشتريت

لنا

لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها
في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه لا يفرق
بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني
عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على
الله تع وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به هو فقير الى
المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده وعن خروجه من يده فانه ليس يتأذى به
ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى دخوله
في يده فغناه الى العموم اميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله تع اقرب وانما قرب العبد
من الله تع بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا
بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء واما هذا العبد فان
استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء اخر سواه فاعلم ان الزهد درجة
وعدما
هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا
اذ حسنات الابرار سيئات المقربين هذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان
الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تع حجاب عن الله تع اذ لا بعد بينك وبين
الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد فالمشغول بحب نفسه مشغول
عن الله والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله تع فمثاله مثال الرقيب
الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى
بغضه فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه
ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فان قلت فما بال الانبياء
والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم
ما شربوا اكثر من حاجتهم فنفروا عما وراءه ولم يجمعوا في القرب والروايا يديرونه مع
انفسهم بل تركوه في الانهار والآبار والبراري يحتاجه اليه لا انهم كانت قلوبهم
مشغولة بحبه او ببغضه وقد حملت على خزاين الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والى ابي بكر وعمر رضي فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى
عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما ينقل عنهم من الامتناع فاما ان ينقل عن خائف
ان لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء
فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء
الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار
نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا في الاخذ لهلكوا كما يفر
الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه لو اخذها
لاخذها اولاده فهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء
فقد عرفت اذن ان المراتب ست وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي
ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضى والقناعة
ودرجته مختلفة بحسب اختلاف هذه الاحوال فاسم الفقير يطلق على هذه الخمسة واما تسمية
المستغني فقيرا فلا وجه بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه
محتاجا الى الله تع في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فاسم
الفقير له كاسم العبد لمن عرف بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين
وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تع فهو
احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك
فهمت ان قول رسول الله صلعم اعوذ بك من الفقر وقوله عليه السلام كاد الفقر ان
يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي
استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تع
هو الذي سأله في دعائه بيان فضيلة الفقر مطلقا اما من الآيات فيدل عليه قوله تع
للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تع للفقراء الذين احصروا في
سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم
وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على المدح واما
الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رض قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق
الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله
فقال الفقير يعطي جهده وقال صلعم لبلال الق الله عز وجل فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلعم
ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم
بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم
الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني
الراغب وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه
وقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نم
اذن حبيبي ثم ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة
ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا ضائع فاوحى
الله تع اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها
واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من
ذي الدرهم وقال ابو هريرة ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم
يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال
له ايها تريد وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد بيان
فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين قال رسول الله صلعم طوبى لمن
هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا
الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي
روي عن عمر رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين
والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تع يوم القيمة وروي عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
احب العباد الى الله تع الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تع وقال النبي صلعم اللهم اجعل
قوت آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال
صلعم يقول الله تع يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول

فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها يأكلون
ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر
فضله في الشطر الثاني ان شاء الله تعالى واما الآثار في الرضاء والقناعة فكثيرة ولا
يخفى ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه
من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي
من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا
والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال
يزيد وعمر ينقص وقال الحسن رح لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه
ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض الآية بيان فضل الفقر على
الغنى اعلم ان [illegible] الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون
الى تفضيل الفقر وقال ابن عطا الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر و
يقال ان الجنيد دعا على ابن عطا لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك
في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر بيان ادب الفقير في فقره اعلم ان للفقير
آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله فاما آداب باطنه فان لا يكون فيه
كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله من حيث انه
فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل
الحجام ولا كارها الحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه
حرام محبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا
من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل
يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى وان
يكون متوكلا في باطنه على الله واما ادب ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا
يظهر الشكوى ففي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف واما في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه

قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه
تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء
واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة بيان آداب الفقير في قبول العطاء
اذا جاءه بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض
المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات واما
غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب
وهو الصدقة والزكوة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجة ببقية
الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة وان كان فيها منة فالاولى تركها
فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد اهدي الى
النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش
الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه
انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك
في كتاب اسرار الزكوة وان كان صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه وان كان
مقارفا للمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك نفر طبعه وما تقرب الى الله
بالتصدق عليه فهذا حرام كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه
حرام محض لا شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي
ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان
سفين الثوري رحمه الله يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به
واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا اليه وقد
سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل الاخذ قال النبي صلعم ما المعطي
من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه شيء من هذا
المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب المضطر فيه اعلم انه قد وردت مناهٍ في السؤال
وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلعم للسائل حق وان
جاء على فرس وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة
الاول اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه
وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده
فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تع وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا بضرورة كما تحل
الميتة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تع وليس للمؤمن ان يذل نفسه
بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزة فاما ساير الخلق فانهم عباد امثاله
والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسئول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة
قلب منه فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحى
وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله
وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء
حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلث فهمت قوله صلعم حيث قال
مسئلة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة
ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا
يجد غيرها فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله تع والاستغناء عن الخلق
ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة
النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة على الحاجة وفضول من النفس فيخرج به
عن حد الشكوى واما الذل فبان يسأل اباه او قريبه او صديقه الذي
يعلم انه لا ينقصه في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي
قد اعد ماله لمثل هذه المكارم واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين
شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق
الرغبة بيان احوال السائلين كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسأل وان اعطى

لم

لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين
في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذن
قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم
بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك
قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال
فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق
فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا
فقبل رأسه وقال صدقت يا استاذ فنسأل الله ان يجعلنا من الراسخين في العلم
القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الشطر الثاني من الكتاب
في الزهد بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين
وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كساير المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف
يرجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن
والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا
والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال
مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة
عن الشيء الى ما هو خير منه ولذلك قال الله تع وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه
من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد
فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض
فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو
ايضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا
كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان واما
العلم الذي هو المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم
التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة

خير وابقى واما العمل الصادر عن خصال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع واستبدال للذي
هو خير بالذي هو ادنى واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء
والفتوة ولا على سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات
وانما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما
كل نوع من الترك يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخاء وحسن
خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي
الذ واهنا من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد
فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء او استثقالا له
لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس
من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا
صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ فتركها خوفا
من ان يانس بها فيكون انسا بغير الله تع ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب
الله تع غيره او تركها طمعا في ثواب الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة
الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين
طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة
وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما
في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنياوية لا جدوى لها في الآخرة اصلا
بيان فضيلة الزهد قال الله تع فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء
وقال تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تع
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف
الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تع من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان

يريد

يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تع ولا تمدن عينيك الى ما
متعنا به الى قوله وابقى واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردناها
بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن
نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقال صلعم من اصبح
وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم
يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته
وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد
اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تع ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله
تع ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة
فقام اليه علي رضه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا
فيسره لنا فقال حب الدنيا واما الآثار فقد جاء في الآثار لا تزال لا اله الا الله
يدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا
صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تع كذبتم
لستم بها صادقين وقال عمر رضه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن
سعد كفى بنا ذنبا ان الله تع يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان
اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد بيان اقسام
الزهد ودرجاته اعلم ان الزهد يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث
الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته ولكنه يجاهد ويكف
نفسه وهذا يسمى المتزهد الدرجة الثانية ان يترك الدنيا طوعا ولكن هذا الزاهد
يرى لا محالة زهده ويلتفت نفسه انه ترك شيئا له قدر الدرجة الثالثة وهي العليا
ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف

ان الدنيا لاشي فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى نفسه تاركا شيا فهذا هو
الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة **بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة** اعلم
ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول
فان ذلك لا ينحصر والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح
والمال والجاه **الاول المطعم** واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند
شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدايه لعشايه
وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يدخر لشهر ولاربعين يوما والثالثة
ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر اكثر من ذلك فتسميته زاهدا
محال ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم
في المطاعم وتركهم الادم قالت عايشة كانت تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء
وهذا ترك اللحم والمرقة والادم **المهم الثاني** الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد و
يستر العورة وهو كسا يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون
معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط
الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار
صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب الزهد **المهم الثالث**
المسكن وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا
لنفسه فيقنع بزوايا المسجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا
لنفسه مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة
مبنية اما بشراء او اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة
ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد وبالجملة كل ما يراد للضرورة
فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما
جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين و
الاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا

المهم

المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى عليه السلام
اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى
المشط وراى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز واوسطها ان يكون له اثاث بقدر
الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة
يشرب فيها وياكل الثريد فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في اشياء
للتخفيف واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد
في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر
الى سيرة رسول الله صلعم وسيرة الصحابة فقد قالت عايشة رضي كان ضجاع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل
ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف
المهم الخامس المنكح وقد قال قايلون لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب
سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه
ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي ابن ابي طالب رضه كان له اربع نسوة
وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله
من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم والمراة قد تكون شاغلة عن الله عز وجل **المهم السادس**
ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه **اما** الجاه فمعناه ملك القلوب
بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام
بنفسه في جميع حاجته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة في قلب خادمه
لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب
هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول
الحمى يوشك ان يقع فيه **واما المال** فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان
كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب
حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة

فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل
فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان
يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في
الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد
نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد
قد يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة **بيان علامات الزهد** اعلم انه
قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على
من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام
ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له
فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل
الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف
الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد
ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر
اليهم بالعين التي ينظر بها الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين فاذن علامة الزهد
استواء الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلت
الحمد لله الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب و
رفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه
فلما تحققوا ان الله لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله
واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فنحن الآن نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة
ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني
ان شاء الله تعالى **بيان فضيلة التوكل** اما من الآيات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى
ان الله يحب المتوكلين **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه السلام
من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه ويروى عن
رسول الله صلعم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول
بهذا امرني ربي وقال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الاية وروي انه
لما قال جبرائيل لابراهيم عليه السلام وقد رمي الى النار من المنجنيق الك حاجة فقال اما اليك
فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به **واما الآثار**
فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقين فناولت الراقي يدي
التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال لا ينبغي للعبد
بعد هذه الآية ان يلجأ الى احد غير الله وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق
عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك
وقال ابراهيم بن ادهم سألت بعض الرهبان من اين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي
ولكن سل ربي من اين يطعمني **بيان حقيقة التوحيد** الذي هو اصل التوكل اعلم
ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل
كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم
الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق
بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها
ما يبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان
بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله
الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له
الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه
فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر

وتمثيل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب
ولللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله
الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه
كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة
نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكنه يراها على كثرتها صادرة
من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين و
يسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه
ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني
عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه في الدنيا عن السيف و
السنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد
عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة
ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى
بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة
وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع
المبتدع عن تحليل العقدة عن قلوب العوام والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا
اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد وانكشف له الحقيقة كما هي عليه والرابع
موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد
وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا و
يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا
فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال
بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ذلك
ممكن وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه
واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهذا مثال
الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشا

واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون
لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت
بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي
لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام
نادر عزيز فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا شرح بقدر
ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل مبتنيا
عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو النفاق فهو واضح واما الثاني
وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين واما الثالث فهو الذي يبتني التوكل عليه اذ
مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به
دون تفصيله الذي لا يحتمل امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل
الا الله تعالى واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه
ثقتك وعليه اتكالك وانما يصرف الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي به
ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني
الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجماد فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع
ونباته ونمائه وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وعلى البرد في اجتماع الغيم وهذا
كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون معناه انهم يقولون لولا استواء
الريح لما نجونا فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرة انصرف عنك
الشيطان خائبا وآيس عن مزج صفاء توحيدك بهذا الشرك فيأتيك في المهلكة الثانية
وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله
وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك و
هذا الشخص يحز رقبتك ان شاء وان شاء عفى عنك فكيف لا تخافه وامرك بيده وانت
تشاهد ذلك ولا تشك فيه وعن هذا زل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين

الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر ان الكل مسخر
مضطر في القبضة ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح والهواء لا يتحرك
بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك
له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ ليحز
رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به
التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت **الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل** قد ذكرنا ان مقام
التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم
اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد
عن مقام نفسه كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء
عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى
الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق
به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على
الوكيل وحده فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة فوكل للخصومة من يكشف ذلك الباطل لم يكن
مطمئن القلب بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة
ومنتهى الشفقة واذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله فان ثبت في نفسك بكشف
او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد
ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته
قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا
محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول
ولا قوة الا بالله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك
الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله
في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله
مع الله كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا
رآها

رآها تعلق في كل حال بذيلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول
خاطر يخطر على قلبه امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله
اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط واما الاول فمتوكل بالتكلف
والكسب الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت
بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك
يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم
وسائر الصفات وان الكل يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي
فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال صبي علم
انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه لم
يطلب منها اللبن فالام تبتديه وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال
منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء
بغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال وانما يقتضي ترك السؤال
من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه
عزيز نادر والمقام الثالث والثاني اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث
والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون **بيان اعمال المتوكلين** اعلم ان العلم يورث الحال
والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب
والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام
في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات
الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله
الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب
او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق
او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون
الاربعة فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها **الفن الاول في جلب النافع** فنقول فيه
الاسباب التي بها يجتلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت

المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطاً مطرداً لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعاً
بين يديك وانت جايع ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي
ومد اليد الى الطعام وكذا مضغه سعي وحركة فهذا جنون محض فليس التوكل في هذا المقام بالعمل
بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة
وانه الذي يطعمك ويسقيك اما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تع لا
على اليد والطعام الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متعينة لكن الغالب ان المسببات
لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيداً كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر
في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس
شرطاً في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون
الاعتماد على فضل الله تع على الزاد ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعالي مقامات التوكل ولذلك
كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك
يخرج كونه حراماً بشرطين احدهما كون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر
عن الطعام اسبوعاً فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في
ذكر الله تع والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء
الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان
يلقاه آدمي او ينتهي الى بلدة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به نفسه يجاهد
والمجاهدة عماد كلا التوكل وعلى ابيه هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين
الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة
فالمتوكلون في ملابسة هذه على ثلثة مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور
في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تع عليه في تقويته على الصبر اسبوعاً وما فوقه او تيسير
حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل
الزاد قد يؤخذ زاده او يضل بعيره ويموت جوعاً فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع
فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف

ع

من الاول ولكنه ايضاً متوكل لانه تارك الكسب والاسباب الظاهرة ويعتمد على فضل الله تع
في تدبيره امره من جهة الاسباب الخفية والتدبيرات الدقيقة ولكنه بالقعود في الامصار
متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان
نظره الى الذي سخر سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله
بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه
في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي ايضاً لا يخرجه عن مقامات
التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك
كله ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير
اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تع كما يرى
القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى القلب قلب الملك انه بماذا يميل وبماذا
يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسباً لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب
وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي
حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق
رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه ودخل السوق فكره
المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل هذا وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني
عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين
فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته بمصالح المسلمين
اولى فاعلم ان الجلوس في رباط الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم
ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال
والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار
القوم بذلك فقد صار سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً الا بشروط
كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان
يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش

عليه ذلك ومع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون
قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت
ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه
اهم من ترك الكسب وكان الخواص اذا نظر الى عيب في العطاء او في اعتياد النفس لم يقبل
منه شيئا وقال الخواص وقد سئل عن اعجب ما راه في اسفاره فقال رايت الخضر ورضي بصحبتي
ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذن الكسب اذا راعى
اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده
على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة
والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره
كان راضيا ولم يبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون
قبله وبعده واحدا فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى
الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان
تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله سبحانه قال الله
سبحانه وتعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة وفضلا
فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء
الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب
الظاهرة غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية
ايضا يبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له
الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلثا فقال في الرابعة يهودي
في جوار المسجد قد ضمن في كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد
خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله وبين العباد مع هذا النقص في
التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى للرزق وروي
عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه

فقال

فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي
ابراهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد انا شاكر انا
ذاكر انا جايع انا نايع انا عاري وهي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج
ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على
بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت عليها
هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عن راكب
البغلة فقال هذا رجل نصراني فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجي الساعة
فلما كان بعد ساعة دخل النصراني فاكب على راس ابراهيم يقبله واسلم بيان توكل المعيل اعلم
ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد فلا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرة على الجوع اسبوعا
من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان ذكرناها ومن جملتها ان يطيب نفسا بالموت
ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة
في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الاخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز
تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان تقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الاعاعلى
الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير ابواب الايمان فاذن لا
يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه
اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال متوكلا في حقهم والقعود عن الاهتمام بامرهم
توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه
وبين عياله فانه لو ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع
رزقا وغنيمة في الاخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده ولا يجوز له ان
يضيعها الا بان تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه
ويتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد
يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق

الشروع اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلثة ايام وقال
ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل و
الكسب فاذن بدنه عياله فتوكله فيما يضر بدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شي وهو ان
له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله في التعرض لاسباب
الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في الادخار ثلثة
احوال الاولى ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا او يشتري
مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي
يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا
وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخره
لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفار
والنملة وابن آدم الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه
عن المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه وذهب الخواص الى انه لا يخرج
باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل
بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختصار فلا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان
يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل
ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية
ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين
ايضا على درجات وكذا السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين يلاصق اسفل درجات السابقين
بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس
فان ذلك كالممتنع وجوده فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم
وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل وقد ادخر رسول الله صلعم لعياله قوت سنة
ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسيرة خبز ادخرها ليفطر عليها
فقال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا

فالاقتدا

فالاقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه وكان صلعم لو ادخر لم ينتقص ذلك من
توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته
ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن
ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه
تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور
من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على
اختلاف اصنافهم ودرجاتهم **الفن الثالث في مباشرة الاسباب** الدافعة للضرر المتعرض
للخوف اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب
الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت
الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير
فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها
من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فقد يتقدم به على المحذور
دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلعم لم يصف المتوكلين
الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا
جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار
باكل الثوم مثلا عند الخروج الى سفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون
من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب
الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر
وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على
ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ودع
اذاهم وتوكل على الله وهذا في اذى الناس واما الصبر على اذى السباع والحيات و
العقارب وترك دفعها ليس من التوكل في شي وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل
باغلاق باب البيت عند الخروج ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما ان اهمل البعير وقال

توكلت على الله تعالى عم اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال تع في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا
اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فان قلت فاذا اخذ المتوكل
سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من الشرود فباي
اعتبار يكون متوكلا قلت يكون متوكلا بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص
ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله تع اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع
واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تع به في نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت
على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك بيان آداب المتوكلين اذا سرق
متاعهم للمتوكل آداب الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه
من الجيران وجمعه اغلاقا فقد كان مالك لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا
الكلاب ما شددته ايضا الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون سبب
معصيتهم او يكون امساكه سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار
زكوة قال له خذها فلا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها
فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسوسة العدو الشيطان بسرقتها
الثالث ان ما يضطر تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه الرابع
انه ان وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا الخيرة كانت في
ذلك لما سلبه الله تع الخامس ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله
ودل ذلك على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده السادس ان يغتم لاجل السارق
وعصيانه وتعرضه لعقاب الله تع ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما الفن
الرابع في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم
الى مقطوع كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب
المسهل وسائر ابواب الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل
تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها فالاتكال عليها

اليها والاعتماد عليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي
المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل لانه
قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام
يعني الموت وقال عم تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله تع
وفي الخبر المشهور ما مررت على ملاء من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة بيان ان ترك
التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله
صلعم ان الذين تداووا من السلف لا يحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من
الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلعم اذ لا يكون
حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قيل لو دعونا
لك طبيبا فقال قد رآني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه ما
تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب
امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما مشغول قيل لو سألت
الله تع ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما فاذن من ترك التداوي وراه
نقيهم كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلعم وافعالهم الا بحصر الصوارف
الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه
الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تع فينسيه ذلك الم المرض
الثالث ان تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار
مجرى الكي الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي واستبقاء المرض لينال ثواب المرض الخامس
ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا
السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان والغفلة لطول الامل والتسويف
في تدارك الفائت وتاخير الخيرات فاذا اراد الله تع بعبد خيرا لم يخله عن التنبه بالامراض
والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تع يقول
الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي وقال تع وعصيتم من بعد ما اريكم

ما تحبون قبل التواني وقد قال رسول الله صلعم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل
الحمى بريد الموت فهو مذكر به وقال تع اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد
اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول
فلم تجب وفي حديث انس وعايشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهدا يوم القيمة احد
غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر يذكر ذنوبه فتحزنه ولا
شك فان ذكر الموت على المريض اغلب فلما كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في
زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيه لا من حيث ان التداوي نقصان وكيف يكون نقصانا
وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم **بيان الرد** على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال
فان قال قايل ان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليسن لغيره والا فهو من احوال الضعفا
ودرجة الاقويا توجب التوكل بترك التداوي فيقال له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك
الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان تلدغه
العقرب فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم تلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق
بينهما فان قال وذلك ايضا شرط فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ
الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب
ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضه وعن الصحابة في قصة الطاعون
فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووباء
عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا نلقي بايدينا الى التهلكة وقالت طايفة
اخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تع
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضه فسالوه عن
رايه فقال نرجع ولا ندخل الوباء فقال المخالفون في رايه أتفر من قدر الله فقال عمر نعم
نفر من قدر الله الى قدر الله تع فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك
فقال عندي فيه يا امير المومنين شيء سمعته من رسول الله صلعم يقول اذا سمعتم بالوباء

في ارض فلا تقدموا عليه وان وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تع اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم
على ترك التوكل وهو من اعلى الدرجات ان كان هذا من شروط التوكل **بيان حكم المتوكل**
في اظهار المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفا الفقر وانواع البلاء من كنوز
البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله او الصبر على بلائه معاملة بين
العبد وبين الله فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت
النية فيه والقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة **الاول** ان يكون غرضه التداوي
فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر
عليه من قدرة الله تع فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان
احمد بن حنبل يخبر بامراض ويقول انما اصف قدرة الله في **الثاني** ان يصف
لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم
منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر فيتحدث به كما يتحدث بالنعم **الثالث** ان يظهر
بذلك عجزه وافتقاره الى الله تع وهذا يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد
منه العجز بهذه النيات يرخص في ذكر المرض وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب
بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تع اليه تفرغت لشكواي الى
عبادي فقال يا رب اتوب اليك **كتاب المحبة والشوق والرضا** وهو الكتاب السادس
من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم
عليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله الذي نزه قلوب اوليايه عن الالتفات الى زخارف
الدنيا ونضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط
عزته ثم تجلى لها باسمايه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات
وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيدا كبريايه
وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل
وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الايس

عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في
بحر معرفته محترقة بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله و
واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته وسلم كثيرا اما بعد

فان المحبة لله تع هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك
المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام
الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وساير المقامات ان عز
وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما المحبة فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض
العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة بطاعة الله تع واما حقيقة المحبة فمحال
الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم
الحب وتوابعه ولابد من كشف الغطاء عن هذا الامر بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تع
اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله ولرسوله فرض وكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر
الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلابد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع
من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تع والذين آمنوا اشد
حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلعم الحب لله
من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان
يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله
وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه وقد ورد في حب الله تع من الاخبار والآثار
ما لا يدخل في حصر حاصر بيان حقيقة المحبة اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف
الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم النظر بعد ذلك في تحقق معناها في حق الله تع تحقيق
فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه
ثم المدركات تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلايمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره
والى ما لا يؤثر فيه بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك

ومالا

وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه
محبوبا ومكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا
اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى
الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة
الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب بيان ان
المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى
الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تع وان حب الرسول محمود لانه عين
حب الله وكذا حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب
ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل لا يجاوز الى غيره فلا محبوب بالحقيقة
عند ذوي البصاير الا الله تع ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب
الخمسة التي هي حب الانسان نفسه وحبه من احسن اليه وحب المحسن في نفسه وحب كل
جميل لذات الجمال وحبه للمناسبة والمشاكلة اما السبب الاول وهو حب الانسان
نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه و
قواطع كماله فهذه جبلة كل حي لا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى
فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له في ذاته وانما وجود ذاته
ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تع وبالله تع والى الله فهو المخترع الموجد له والمبقي
له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية
الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض
وعدم صرف لولا فضل الله تع عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل
الله عليه بالتكميل بخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا الحي القيوم
الذي هو قايم بذاته وكل ما سواه قايم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته
مستفادا من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا
ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره واما الثاني وهو من احسن اليه

وانتهض في جميع حظوظه واغراضه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب
الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فانه انما تم احسانه
به وبماله وبقدرته على المال وبالباعثة الداعية له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق
ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه
اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك
لما اعطاك حبة من ماله فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط الدواعي الباعثة
عليه فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال واما الثالث وهو
حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا يقتضي ايضا حب الله تعالى
بل يقتضي ان لا يحب غيره فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق
اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة ايضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب
بهذه العلة الا الله تعالى واما الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال
منه وراء ادراك الجمال فان ذلك مجبول في الطباع والجمال ينقسم الى جمال
الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين
ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب
ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال
فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء
والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان محب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الصديق رضي الله عنه فلا يحبه الا لحسن ما ظهر له منهم من حسن الصفات التي
هي مصادر الافعال اذ الافعال صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف
وحسن شعر الشاعر وحسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتهم
الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان العلوم اشرف
واتم جمالا وعظمة كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور كلما كان اعظم رتبة واجل منزلة
كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن

العلوم

العلوم واشرفها معرفة الله تعالى فاذا جمال صفات الصديقين الذين يحبهم القلوب
طبعا يرجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع
انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة
والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير
الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والخلفاء والعلماء والملوك الذين
هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم
الاولين والآخرين من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا
قليلا واما صفة القدرة فانسب قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله فاعظم الاشخاص
قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم للقدرة
على سياسة نفسه وسياسة غيره ما غايته ان يقدر على بعض تلك الامور لا كلها وهو مع
ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى
ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه
وغيره وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه
وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى
شخص من الحيوانات لاهلكته فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه كما قال في
اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا مكنا له في الارض والارض مدرة بالاضافة الى
اجسام العالم وجميع الولاية التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك
الغبرة ايضا من فضل الله فيستحيل ان يحب عبد من عباد الله تعالى لقدرته ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم واما صفة التنزه عن العيوب والتقدس عن الرذائل
والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة
والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين من العيوب والخبائث فلا يتصور
كمال التقدس والتنزيه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما

واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقايص بل كونه مخلوقاً مسخراً مضطراً عين العيب
والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه ومنتهى نبوة الانبياء
الاقرار بالعجز عن وصفه كما قال سيد الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين لا احصى
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين سبحان من لم يجعل
للخلق طريقاً الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله تع
تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت
الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تع موصوفاً بها او ينكر كون الجمال والكمال
والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرةً
على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى هم عن نار الجحيم مبعدون
ويترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة
لان شبه الشيء منجذب اليه ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير الكبير ويألف
الطير نوعه واذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى
ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبى وقد تكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى
من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع في مال او غيره كما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضاً يقتضي
حب الله تع لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان
باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت
غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكين للطريق اذا استكملوا شرط السلوك
فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تع في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق
بالتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب
محاسن الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان وافاضة
الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل

الى

الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك تقرب الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان
بل بالصفات واما ما يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصية التي اختص
بها الآدمي فهي التي يومي اليه قوله تع ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ
بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله تع انا جعلناك خليفة
في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تع الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله عم
ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة
المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون
علوا كبيرا **بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تع والنظر الى وجهه الكريم** اعلم ان
اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة
لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت
لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها
وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع فكذلك في القلب غريزة تسمى
النور الالهي لقوله تع افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل
وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي
فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان
الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ فالقلب مفارق لساير اجزاء البدن بصفة بها
يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره
الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية وليس يخفى ان في العلم والمعرفة
لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به ثم ليس لذة
العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة
العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تع وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض
بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم وليت شعري هل في الوجود
شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومرتبها ومبديها

ومعينها وسريرها وحزينها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء
والجلال اعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها
وصف الواصفين فلذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى
اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية
العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا
فانه لا محالة يوثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة
ويستحقر الخلق الذين يرأسهم ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب المعرفة
الالهية فقد استنشقوا رايحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات عند انحلال
الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها
غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف
له من اسرار ملك الله ولو الشي اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد
يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك
الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه
الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها وفي اخبار عيسى عم اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب تع
فقد الهاه ذلك عما سواه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته
خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات
تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة والى ما لا يدخل
في الخيال كذات الله تع واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي تتشكل في
الخيال لمعرفتها درجتان احديهما اولى والثانية استكمال لها وبين الثانية والاولى من
التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني بالاضافة الى
الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وكان سنة الله جارية بان تطبيق الاجفان

يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول
الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تع ان النفس
ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية
فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب
عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول
ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تع لموسى عليه السلام لن تراني وقال تع لا تدركه الابصار
اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تع ليلة المعراج فاذا
ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان
كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدا فصار كالمراة التي فسد بطول
تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهولاء هم المحجوبون عن ربهم
ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع فيعرض على النار
عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية
واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المومنين كما وردت به الاخبار سبعة الاف
سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا وتصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت
ولذلك قال الله تع وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع
الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب ووافى استحقاق الجنة فعند
ذلك يستعد بصفائه ونقائه عن الكدورات لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى
وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم
من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى
عنه رب العالمين علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل
وتصور وتقدير وشكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في
الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون

بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح
وإليه الإشارة بقوله تع يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا
إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة
كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة **بيان الأسباب المقوية لحب الله تع** اعلم أن أسعد
الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تع فإن الآخرة معناه القدوم على الله تع
ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه و
تمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم
ومن غير خوف الانقطاع وإنما يكتسب العبد حب الله تع في الدنيا وأصل الحب لا ينفك
عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي
إلى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين
أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع
للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في أن
يحب الله تع بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر
ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تع وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة
بقوله تع قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبقوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه وكل
محبوب فإنه معبود فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو
مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تع أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم
أبغض إله عبد في الأرض الهوى وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله مخلصا
دخل الجنة ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله تع فلا يبقى فيه شركة لغير الله تع فيكون
الله تع محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط **السبب الثاني** لقوة المحبة قوة
معرفة الله تع واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع
شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى البذر في الأرض بعد تطهيرها من الحشيش وهو

الشطر

الشطر الثاني ويتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله
مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وإليها الإشارة
بقوله تع إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال والخادم وإنما
العمل الصالح أثره كله في تطهير القلب أولا من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد
العمل الصالح إلا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فإنه يراد للعمل فالعلم
هو الأول وهو الآخر وإنما الأول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء
القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما
حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدل المزاج إذا
أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة و
اللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه المعرفة
بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب
والنظر المستمر في الله تع وفي صفاته وملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون
إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء فيكون أول معرفتهم بالله ثم به يعرفون غيره
وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل وإلى الأول
الإشارة بقوله تع أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وبقوله تع شهد الله أنه لا إله
إلا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا
ربي لما عرفت ربي وإلى الثاني الإشارة بقوله تع سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
الآية وبقوله تع أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض **بيان السبب في تفاوت
الناس في الحب** اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المعرفة
ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إنما تتفاوت
بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تع إلا الصفات والأسماء التي قرعت
أسماعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب
وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان تسليم

طهارته ثانيا

وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب
اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله
تع حال الاصناف الثلثة في قوله تع فاما ان كان من المقربين فروح وريحان الايات

بيان معنى الشوق الى الله تع اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تع فلا بد ان ينكر حقيقة
الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تع
بكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصاير وبطريق الاخبار
والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب واما الاخبار
والاثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اللهم اني اسئلك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر
الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص آية
في التورية فقال يقول الله تعالى الاطال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد
شوقا وقال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقال ابو
الدرداء اشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود عليه السلام
ان الله تع قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني
ومونس لمن آنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني
ما احبني عبد اعلم يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته لا يتقدمه احد من خلقي من
طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها
وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي فآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني
خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صلى الله عليه وسلم
صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي بيان محبة الله تعالى
للعبد ومعناها اعلم ان شواهد القران متظاهرة على ان الله يحب عبده فلا بد
من معرفة معناها ولنقدم قبله ان محبة العبد لله تع حقيقة وليس بمجاز اذ المحبة في
وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشي الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط

فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا فان ميل النفس الى موافق
ملائم انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها وتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله
وهذا محال الى الله تع فان كل كمال وجمال وجلال ممكن في الالهية فهو حاضر وحاصل
وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من
حيث انه غير بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله
ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ قوله تع يحبهم ويحبونه بحق يحبهم فانه
ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه
وافعال نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو
اذن لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو ماول ويرجع معناه
الى كشف الحجاب عن قلوبهم حتى يروه بقلوبهم والى تمكينه اياهم من القرب منه والى ارادته
ذلك بهم في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت
تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف
الحجاب عن قلبه فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال ولا يزال يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب
عن قلبه وحصوله في درجات القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تع ولطفه به فهو
معنى حبه بيان معنى الانس بالله تعالى قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق
من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في
وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر
قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه
فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا غلب عليه
الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا
على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب
بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء
وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى

تألمه خوفاً وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب
تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال
حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال
عظم نعيمه ولذته **بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمر غلبة الحب** اعلم ان
الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف
التغير والحجاب فانه يثمر نوعاً من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تع
وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام
الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك بذلك واشرف
على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام
ان يسأله ان يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام
ليستسقي بهم في سبعين الفاً فاوحى الله تع اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت
عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع
الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى
عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى ع م ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود
قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه
موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت
طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك
ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن
طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفاراً
قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى
الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله
العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام
فقال كيف رأيت اذ خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى عليه السلام
فاوحى الله تع اليه ان برخاً يضحكني كل يوم ثلث مرات فمن انبساط الانس قول

موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقال في
التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من
غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل
ولم يحتمل ليونس عليه السلام دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب
بالسجن في بطن الحوت ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به فقيل له فاصبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها
بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل (التفاوت) و
في القسمة بين العباد وقد قال الله تع ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكان
عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم
ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف
في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليهما السلام فاقيم مقام الهيبة والحياء
فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه جل وعز فقال تع وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حياً وكان آصف بن برخيا من المسرفين وكان معصيته في الجوارح فعفى عنه
فقد روي ان الله سبحانه وتع اوحى الى سليمن عليه السلام يا رأس العابدين ويا ابن
محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي
وجلالي لئن اخذته عصفة من عصفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالاً لمن
بعده فلما دخل آصف على سليمن عليه السلام اخبره بما اوحى الله تع اليه فخرج
حتى علا كثيباً من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي
انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني
وان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف انت انت
وانا انا استقبل التوبة الآن فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام
مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه **القول في معنى الرضا بقضاء الله تع**

بيان فضيلة الرضا اما الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل
جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضاء الله تعالى عن عبده وهو ثواب
رضاء العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر
فقد رفع الله تعالى الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور
في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب
سكان الجنة ففي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك
يا ربنا فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما الاخبار فقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال صلى الله عليه وسلم
ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء
فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال صلعم حين قالوا
ذلك حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي الى
الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلعم من رضي من الله بالقليل من الرزق
رضي الله تعالى عنه بالقليل من العمل واما الآثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى
الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي
سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله وقال ميمون بن مهران
من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى من انواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور
فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا تصور الحب لله تعالى واستغرق الهم به فلا يخفى ان
الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس
بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه الجراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل
المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا
راى الدم استدل به على الجراحة واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن

يكون

يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من
الفصاد الفصد والحجامة فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب
الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط
ولا يدورها الموت بل يبقى بعد الموت حيا عند الله فرحا برزق الله تعالى مستفيدا
بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار فقد قال شقيق
من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال الجنيد سألت سريا السقطي
هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف
سبعين ضربة ضربة على ضربة بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام
الرضا وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات
تدل عليه وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا واما انكار
المعاصي وعدم الرضاء بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا بها فقال
ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكأنه قد فعله
وفي الحديث الدال على الشر كفاعله واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد
من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون فان قلت فقد وردت
الآيات والاخبار بالرضاء بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال
وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله
تعالى فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره
وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه
الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط
عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر مذموم وبهذا ينكشف جميع ما وردت

الاجتناب من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله تعالى وهذا كله ليستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كليهما داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله تعالى فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا من الله من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلعم القدر سر الله فلا تفشوه

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا ولا يناقضه

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهر فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلعم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلد في الانصراف واذا عرفت المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه من ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب عنها قائلا ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين وقال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

بيان جملة من حكايات المحبين

قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد فقال لاني رايت اربعين بدلا واخذت من كل بدل

خلقا

خلقا من اخلاقه وقيل لبعضهم انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل له فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل له فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلوة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال وعد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فراني فقال يا يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال منذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لم تساله المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت

الله

دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلد لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه
الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا
يحب الله تع ثم ذكر من اجابة الله تع اشيا لا يستطاع ذكرها حتى قال لو سالوه
ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في نفسها فمن لم يحظ بشي منها فلا ينبغي ان
يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان مقدورات الله تع لا نهاية لها وفضله
على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة
موسى عليه السلام وروحانية عيسى عليه السلام وخلة ابراهيم عليه السلام فاطلب ما وراء ذلك
فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به فهذا بلاء
في مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وفي خبر عنه صلعم ان لله تع مائة
خلق فمن لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر رضه يا رسول الله هل في
خلق منها فقال صلعم كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تع السخاء

خاتمة الكتاب في كلمات متفرقة

قال سفيين المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال غيره ايثار
المحبوب وقال كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس
المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب
عن ادراكه ويمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تع المحبة على صاحب
العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون
قل لمن اظهر حب الله تع احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف
والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي اوحى الله تع
الى داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين
تم كتاب المحبة والشوق والرضا والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله اجمعين

كتاب النية والاخلاص والصدق

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين

ونشهد

ونشهد ان لا اله الا هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن
والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال تع وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء
عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله
واصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان
وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون
والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم والعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع
العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تع في كل عمل
كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلثة ابواب

الباب الاول في النية

قال الله تع ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى وقال الله تع ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق
وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله تع علما ومالا فهو يعمل بعلمه وماله فيقول رجل لو
آتاني الله تع مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله تع مالا ولم يؤته علما
فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تع مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء
الا ترى كيف شركه في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس لما خرج رسول الله صلعم
في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا
انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله وليسوا معنا قال رسول الله صلعم حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية
وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي الآثار رفع عمر بن الخطاب رضه
افضل الاعمال اداء ما افترض الله تع والورع عما حرم الله تع وصدق النية فيما عند الله تع

وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم
عون الله له وان نقصت نقص بقدره وكان بعض المريدين يطوف على العلماء رضي الله عنهم ويقول
من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار
الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا
فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله بيان حقيقة النية اعلم ان النية
والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهي حالة وصفة للقلب يكتنفها علم وعمل
العلم يتقدمها لانه اصلها وشرطها والعمل يتبعها لانه ثمرتها وفرعها وذلك لان كل عمل اعني كل حركة
وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه
فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا
للغرض اما في الحال او في المآل ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه عاجز عنه لكونه
زمنا فلا بد من القدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة والظن
والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق له جزمت
ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا
انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة
تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس
بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب
وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصود المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض
القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد
وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد منهما بحيث لو انفرد
لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا
الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج عن هذا التقسيم اربعة اقسام بيان سر قوله صلى
الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله المعني به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة
الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر

في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعاته خير من عمله الذي هو من
جملة طاعاته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا
معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ
اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح
بالاضافة الى المقصود وذلك لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتاثر كل واحد منهما
بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز
من اعزائه او بهجوم امر مخوف تاثرت الاعضاء وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع
وكانه الامير الراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالقلب هو المقصود والاعضاء
آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون
اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا
من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه يؤكد صفة التواضع في القلب فان من
يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه
بيان النية غير داخلة تحت الاختيار اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين
النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه
او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر لله ويظن ان ذلك نية وهيهات
فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن
جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها
اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة
بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت
ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب
الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد
يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث

الموافق للنفس الملايم اليها لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال
فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما
يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن
في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص
وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد
دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ
النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب
على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلعم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي
بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية
نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم
ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد
من ثقل المونة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل
الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة
المحركة للسان لقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا ولهذا
كان جماعة من السلف اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا
وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال
فيبتدي فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت
نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية
للخيرات ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرايض
الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب
نفسه فيها فربما انبعث داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما النية الطاعة علانية
اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا يتيسر للراغب في الدنيا وهذه
اعز النيات واعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات
الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار

ومنهم

ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة
الى قصد طاعة الله تعالى وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات
الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المالوفات في الدنيا
واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرها الجنة فالعامل لاجل
الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها
بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى
والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وساير الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء
هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر
نياتهم راى احمد بن خضرويه ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني
الا ابو يزيد فانه يطلبني والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب
على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقايق تورث
اعمالا واعمالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية
في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة
في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار
في الظلم وربما تحضره نية الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له
نية في الاكل ليروح نفسه ويتقوى على العبادة وليس تنبعث نيته في الحال للصوم
والصلوة فالاكل والنوم هو الافضل بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه
وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث لعاد نشاطه فاللهو افضل
من الصلوة ههنا قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق
وقال علي رضه روحوا هذه القلوب فانها اذا اكرهت عميت **الباب الثاني في الاخلاص**
فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله
واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه فقال النبي صلعم ثلاث

لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله سبحانه الحديث وعن مصعب بن سعد
عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلعم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم
وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تع الاخلاص
سر من سري استودعه قلب من احببته من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا
لقلة العمل واهتموا للقبول فان رسول الله صلعم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه
القليل وقال صلعم ما من عبد يخلص العمل لله تع اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه **بيان حقيقة الاخلاص** اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا
صفى عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تع
من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه
شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاد الاشراك فمن
ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك
في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان
على القلب فمحلهما القلب وانما يكون ذلك في النيات والقصود وقد ذكرنا حقيقة
النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي
الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق بصدقة وغرضه
محض الريا فهو مخلص وان كان غرضه محض التقرب الى الله تع فهو مخلص ولكن
العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تع عن جميع
شوائبه ومن كان باعثه مجرد الريا فهو متعرض للهلاك وقد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الريا
واقل ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيمة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع
يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث
باعث اخر اما من الريا او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية
الحاصلة به مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح

مزاجه

مزاجه بحركة السفر ليتخلص من شي يعرض له في بلده او ليهرب من عدو له في منزله او يتبرم
باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس
الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به نفسه على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل
وله غرض في دفع النعاس عن نفسه بالصلوة ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم
ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وماله
محروسا بعز العلم عن الاطماع او يشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج
بلذة الحديث او يتكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند
الناس او يكتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او يحج ماشيا ليخفف عن نفسه
الكراء او يتوضا ليتنظف ويتبرد او يغتسل ليطيب رائحته او يروي الحديث
ليعرف بعلو الاسناد او يعتكف في المسجد ليخفف عليه كراء المسكن او يتصدق على السائل
ليقطع ابرامه في السوال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض
ويشيع جنائز اهله او يفعل شيا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح
والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تع ولكن انضاف اليه خطرة من هذه
الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص
وخرج ان يكون خالصا لوجه الله تع وتطرق اليه الشرك وقد قال الله تع انا اغنى
الشركا عن الشركة فكل ما يبعثك فعل من افعاله وعبادة من عبادات الله عن حظوظه
واغراض عاجلة من هذه الاجناس ولذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة
خالصة لوجه الله تع نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه
الشوائب وانما الاخلاص تخليص القلب عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها
حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله
تع مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب
الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة
الجبلة فلا يشتهي الطعام من حيث انه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تع ويكون

قبل الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تع فمثل هذا
الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته لكان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته
وسكناته فلو قام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه
عبادة وكان له درجة المخلصين ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال
كالمسدود عليه الا على الندور وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة
لوجه الله تع وليست كذلك ويكون فيه مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكي
عن بعضهم انه قال قضيت صلوات ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف
الاول وذلك لاني تأخرت يوما بعذر فصليت في الثاني فاعترتني خجلة من
الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان
مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم
الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله والغافلون عنه يرون
حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تع وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيئات ما عملوا وبقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **بيان اقاويل الشيوخ** قال السوسي الاخلاص فقد
رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى
الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل وقال سهل الاخلاص
ان يكون سكون العبد وحركاته لله تع خاصة كلمة جامعة محيطة بالغرض
وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا
اشارة الى ان حظوظ النفس آفة عاجلا وآجلا وهو اشارة الى اخلاص الصديقين
وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة
الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي
الالباب وجه الله تع فقط والاقاويل في هذا كثيرة انما البيان الشافي بيان سيد
الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال صلعم ان تقول ربي

فاعترتني

الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو
الاخلاص حقا **بيان الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص** اعلم ان الآفات
المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية واظهر مشوشات الاخلاص
المكدرة الريا فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان
مخلصا في صلوته اذا نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول حسن صلوتك حتى
ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح فلا يزدريك ولا يغتابك فتخشع
جوارحه وتسكن اطرافه ويحسن صلوته وهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك
على المبتدئين من المريدين **الدرجة الثانية** ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة فصار
لا يطيع الشيطان فيأتيه في معرض الخير فيقول له انت متبوع ومقتدى به وما تفعله
يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر
ان اسأت وهو ايضا عين الريا مبطل الاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع
وحسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن
ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه **الدرجة الثالثة** ان يجرب العبد نفسه في ذلك
ويتنبه لكيد الشيطان فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي
يرتضيها في الملاء ويصلي في الملاء ايضا مثل ذلك فهذا ايضا من الريا الغامض
لانه حسن صلوته في الخلوة ليحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته
في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة
الخلق واحدا فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلوة بين اظهر الناس ثم يستحي
من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان يستوي صلوته في الخلوة
والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات
في الخلا والملا جميعا **الرابعة** وهي ادق ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان
ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة

الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله تع الى قلبك وانت
غافل عنه فيحمر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين
المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظر الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه
في الخلوة وكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة
ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا فلا يكون حضور الغير هو
السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا في ذلك فما دام يفرق في احواله
بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس
الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى في ابن ادم من دبيب النملة السوداء
في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق
نظره وسعد بعصمة الله تع وتوفيقه وهدايته ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل عند الله
من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقايق افات الاعمال **بيان حكم
العمل المشوب في استحقاق الثواب عليه** اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تع
بل امتزج به شوب من الريا او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا
ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد الا الرياء
فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تع فهو سبب الثواب
وانما النظر في المشوب فظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن
تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله تع ان ينظر الى قوة قدر الباعث
فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا
له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك
مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم
يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب بالاضافة الى الباعث الاخر فله
ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تع فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ولقوله تع ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان

كان

كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان
مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض تمحوه الاخلاص المحض عقيبه
فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من
خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس
نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة
عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة
ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة
كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن الثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون
في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة يكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها
ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان
يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تع وانما الرغبة في
الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا
يلتفت الى الغنيمة اصلا **الباب الثالث في الصدق في فضيلة الصدق** قال الله تع
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلعم ان الصدق يهدي الى
البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي
الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في
فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تع وصف به الانبياء في معرض
المدح والثناء فقال تع واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال تع واذكر
في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق
والحياء وحسن الخلق والشكر **بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه** اعلم
ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة
وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق

الذين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق
ثم هو ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق
بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون
الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او
بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه فهذا هو اشهر انواع الصدق
ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل المعاريض مندوحة
عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف
ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال
في تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء
وفي الاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه
ان يكون نطقه فيه لله تعالى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورّى
بغيره وذلك لكيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصدوه وليس هذا من الكذب في شيء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص
في النطق على وفق المصلحة في ثلاث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان
في مصالح الحرب ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة
وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس هو
ههنا فاحترز بذلك عن الكذب والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي
يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان
كان منصرفا عن الله مشغولا بما في الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد
واياك نستعين وقوله انا عبد الله عز وجل فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية
وكان له مطلب سوى الله عز وجل لم يكن كلامه صدقا الصدق الثاني في النية والارادة
ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى الثالث
صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله
مالا تصدقت بجميعه او بشطره وان اعطاني الله سبحانه ولاية عدلت فيها ولم اعص الله

سبحانه

سبحانه لظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة
فقد يراد بالصدق المعنى الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال
اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقائق لم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق
الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو
به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف
ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع
في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه
قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فاذن
مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد يسمى رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن
غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي
واجعل علانيتي صالحة السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين
كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور
فان هذه الامور لها مبادي ينطلق عليها الاسم لظهورها ثم لها غايات وحقائق و
الصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا
فيه قال هذا هو الخوف الصادق قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
الى قوله اولئك هم الصادقون ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف
من الله تعالى خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة
اما تراه اذا خاف سلطانا كيف يصفر لونه ويرتعد فرايصه ويتنغص عليه عيشه
ويتعذر عليه اكله ونومه كل ذلك من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه
شيء من ذلك عند جريان معصيته عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام
هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه
المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا
قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبريل

احب ان اريك في صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني قال فواعده بالبقيع في
ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلعم فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم
مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبرائيل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما
ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله
وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى
يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير وقال جابر قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري
بي وجبرائيل بالملاء الاعلى كالحلس البالي من خشية الله يعني بالحلس الكساء الذي
يلقى على ظهر البعير وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عم اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا
لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان
وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال فاذن من علامات الصدق كتمان
المصايب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم بالصواب

كتاب المحاسبة والمراقبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر
القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت فنعلم انه لولا لزومها
المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت فسبحان من عمت
نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والاخرة وغمرت
والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة
الاتقياء وسلم كثيرا اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
ولا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب

وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة فرابطوا انفسهم
اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم
في المرابطة ست مقامات فلنذكر شرح هذه المقامات المقام الاول من المرابطة المشارطة
اعلم ان مطلب المتعاملين المشتركين في البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان
التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر
في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ به فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة
اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله
وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه
ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة
النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح
ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير
منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد
الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء المرابطة الثانية المراقبة فانه اذا
اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال
وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت فلنذكر فضيلة المراقبة
فقد سال جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال
ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال تعالى افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام
قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف عليه السلام ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا
استحيي من مراقبة الملك الجبار وروي عن عبد الله بن دينار قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه

الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله قال فبكى
عمر ثم غدا الى صاحب المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة
وارجو ان تعتقك في الآخرة **بيان حقيقة المراقبة** اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب
وانصراف الهم اليه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة
اعمالا في الجوارح وفي القلب فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها اذا اخذت عن الشك
ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته ورب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت
فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه
والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين
فمراقبتهم على درجتين **الدرجة الاولى** مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم
والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا
يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها
فانها مقصورة على القلب واما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن
المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت
في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار
همه هما واحدا وكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى
لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه
مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني
ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم
الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم **الدرجة الثانية**
مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على قلوبهم ظاهرهم
وباطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت
الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى
فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به يوم القيمة فانهم

يرون

يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة **المرابطة الثالثة**
محاسبة النفس بعد العمل فلنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة
الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا **بيان** حقيقة المحاسبة اعلم ان العبد كما يكون له
وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فكذلك ينبغي ان يكون
له في آخر النهار ايضا ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها
ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة كما نقل عن توبة
بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة
فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال
يا ويلتى القى المليك باحد وعشرين الف سيئة وخمسمائة سيئة كيف وفي كل يوم عشرة
آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى
الفردوس الاعلى **المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها** مهما حاسب نفسه
فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها
فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها
وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس فينبغي
ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب
كل طرف من الاطراف بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي
عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها
ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشت وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم
فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة
بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه
فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلعم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك
ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال النبي صلعم تزودوا من اخيكم فجعل الرجل

يقول له يا فلان ادع لي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى
زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلعم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل
الجنة مآبهم ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم للتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة
للذي صنع **المرابطة الخامسة المجاهدة** وهي انه اذا حاسبت نفسك فرايتها قد قارفت
معصية فينبغي ان تعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رايتها تتوانى بحكم الكسل في شيء
من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان تؤدبها بتثقيل الاوراد عليها وتلزمها فنونا من
الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط وقد عاقب عمر بن الخطاب رضي نفسه حين فاتته
صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته
صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان
فاعتق رقبتين وفاتت ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل
على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله وقال الله تع والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله **المرابطة
السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها** اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد
خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وقد امرت بتزكيتها وتقويمها وقودها
بسلاسل القهر الى عبادة ربها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها
بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تع بها
فرجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية
فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا
بوعظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تع وذكر فان الله
تعالى اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال تع وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر
عليها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها
الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة
وحمقا فانك تعرجين تضحكين وتشتغلين باللهو اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة فالكرا

تقولين لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تقرئين قوله تع اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات
دنياك انتحسبين ان الله كريم في الاخرة لا في الدنيا وان رب الدنيا والاخرة واحد وان
ليس للانسان الا ما سعى الم يقل لك سبحانه ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة
وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر
ووكل امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان
لو كان الايمان باللسان كافيا فلما اذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ولو ان
يهوديا اخبرك عن الذ الاطعمة بانه يضرك في مرضك لصبرت عنها وتركته وجاهدت
نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تع في كتبه المنزلة اقل
عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم **كتاب
التفكر والاعتبار** وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي لم يقدر لعزته نحوا ولا قطرا فتركت قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة
حيرى ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية فكرا لانها لو تفكرت في جلال ربوبيته لم تقدر
لها قدرا وان طلبت وراء التفكر في صفاته امرا فانظري في نعم الله واياديه كيف
توالت عليك تترى والصلوة على محمد اذ كان سيد ولد آدم ولم يعد سيادته
فخرا صلوة تبقى لنا في عرصة القيمة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل
واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم كثيرا **اما بعد**
فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله
على التدبر والاعتبار ولا يخفى ان الفكر مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار
قد امر الله بالتفكر والتدبر في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ابن عباس رضي ان قوما تفكروا

فان تفاصيل هذا المطلب لم يذكر هنا وانما تذكر في احياء العلوم فيستغنى عنه المختصر صح

في الله عز وجل فقال النبي عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى فانكم
لن تقدروا قدره وعن الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن طاوس قال الحواريون
لعيسى بن مريم عليه السلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان
نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وفي قول الله عز وجل ساصرف عن اياتي
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري رضه
قال قال رسول الله صلعم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله ما حظها من العبادة
قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه **بيان حقيقة التفكر وثمرته**
اعلم ان معنى الفكرة هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة مثاله ان
من مال الى العاجلة واثر الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الاخرة اولى بالايثار من العاجلة
فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه فهذا
يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف
ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب ليتوصل
بهما الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر
والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد واما اسم التذكر والاعتبار والنظر
فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا فالاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين
من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع الاعتبار ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين
فينطلق عليه اسم التذكر لا الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة
ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة فلا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا
وفايدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وفايدة التفكر تكثير العلم **بيان مجاري**
الفكر اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا
ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى
فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب وصفاته
واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته ولا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق
بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب سبحانه او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر

في غير

في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه
الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما
بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السايرين الى الله
تع والمشتاقين الى لقايه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول
العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه
فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه و
بمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون
ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه
من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان
تفكر في شيء خارج عن هذه فذلك خارج عن حد العشق فهو نقصان فيه لان العشق
التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره
ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا
فلنبدا بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليتميز المحبوب منها عن المكروه
فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الاخر
فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات
والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وقد ذكرنا في ربع
المهلكات والمنجيات **القسم الثاني** الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان **المقام الاعلى**
الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله
ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه ولا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون
ثم لا يطيقون دوام النظر بل ساير الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله سبحانه
كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي وانما يتردد
ليلا لينظر في بقية نور الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيق على دوام النظر
ويخشى على بصره بدوام النظر ونظر المختطف يورث العمش ويفرق البصر فكذلك النظر

الى ذاته يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا نتعرض لمجاري الفكر
في ذات الله سبحانه وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض
العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل
العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه
لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله
وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا نتعرض لمجاري الفكر فيه ولكنا
نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره فانها تدل على جلاله
وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فننظر الى
صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما
استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظمة نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب
لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم
مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انوار
بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته
تعالى اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة
بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى
الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها
صفات الفاعل ولا نبهر بانوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله
صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله

بيان كيفية النظر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه ففيها عجائب وغرائب تظهر بها
حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن فنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات
فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة
على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل
عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله بالتدبر في نفسك فقال تعالى قتل الانسان

ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء
انشره فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة كيف خلق المولود من النطفة وسقاه
بدم الحيض وغذاه وكيف جعل النطفة وهي بيضاء علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم
كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار
واللحم ثم كيف ركب من اللحم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الرأس
وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها
بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة
والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ولعمل مخصوص ثم
كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة
وصف مخصوص لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن
الابصار ولو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضت
في ذلك الاعمار فانظر الآن الى العظام كيف جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها تقديرات
مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان
محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما
واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل واحد منها على وفق
الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها من احد طرفي
العظم والصق بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي
الآخر نقرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد
ان اراد ان يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك
ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها من خمس وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور
فالف بعضها الى بعض بحيث استوى بها كرة الرأس فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر
للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريض يصلح للطحن
وبعضها حاد يصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة
مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات

ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر
وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز
من ثلثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا من ثلثة
اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام
العانة وعظام العجز ثم ترتب عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول
بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مايتا عظم وثمانية واربعون
عظما سوى العظام الصغار التي حشي بها خلل المفاصل وليس المقصود ان يعرف
اعداد العظام فانه علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها
في مدبرها وخالقها كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها
وخصصها بهذا العدد المخصوص وانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان
يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب
ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون فيها ليستدلوا بها
على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق آلات لتحريك
العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسماية عضلة وتسعة وعشرين
عضلة والعضلة هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة
المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها
لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها لاختل امر العين فهكذا
لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وشرح ذلك يطول
وللتفكر مجال رحب في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن
وكل ذلك نظر الى اجسام البدن وعجايب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس
اعظم وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما
صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها
واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها
ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات والارض تنفك عن حكمة وحكم

بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في
الارض الى عجايب السموات ولذلك قال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع
الآن الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا كانت معدومة فخلقها
خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها فشكلها وقدرها وقسم اجزاءها المتشابهة
الى اجزاء مختلفة ودبر ظاهرها وباطنها وجعلها شخصا سميعا بصيرا عالما ناطقا فخلق
لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح
العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها وحماها بالاجفان لتسترها وتحفظها
وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات فهي
تنظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا يحفظ سمعها وتدفع الهوام عنها و
حوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام
اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه
فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها الدبيب في حالة النوم ثم رفع الانف
من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل
صاحبها باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين
روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان
ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة الطحن
والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية
الرؤوس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن
لونهما لينطبق على الفم فيسد منافذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة
وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع
الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق
الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والرقة وصلابة
الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الاصوات

فلا يتشابه صوتان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت
في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين
وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب
ثم خلق اعضاء الباطنة وسخر كل واحد منها لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج
الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد
فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه
والكلية تخدمه بجذب المائية عنه والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها
ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف
البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع بالخمس
وقسم كل اصبع بثلاثة انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب ليدور الابهام
على الجميع ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تتقطع و
ليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة ولو
اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى
ما وضعت عليه لم يقدروا على ذلك اذ بها يصلح القبض والاعطاء وساير الاصابع المودعة
في اليد فالظفر الذي اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهرت به حكة لكان اعجز
الخلق ولم يقم شيء مقامه في حك بدنه ثم تهتدي اليد الى موضع الحك حتى تمتد ولو في النوم
والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب
طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف الغشاء والغطاء
وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا شيئا ولا يرى المصور ولا آلته
فهل رأيت مصورا وفاعلا لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيها فسبحانه ما اعظم
شانه واظهر برهانه فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها وهو اقرب مجال
لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك تاكل
وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل وتشارككم في معرفة ذلك البهايم والسباع

كلها وانما خاصية الانسان التي حجبت البهايم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت
السموات والارض وعجايب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة
المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين فاذا عرفت
طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها
ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا
وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا ليمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى
فيها الجبال اوتادا ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت
اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها
فنعم الماهدون وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجايبها

ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ومن آياته
اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على
رجلين والى ما يمشي على اربع وعشر ومائة ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق
والطباع ومن آياته البحار العميقة المكتنفة التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع
الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة
في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر
كالاصطبل في الارض ومن آياته الهواء اللطيف فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا
هابة فان شاء جعلها نشرا بين يدي رحمته كما قال وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته
روح الهواء الى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة
من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم
اعجاز نخل منقعر ومن آياته ملكوت السموات والارض وما فيها من الكواكب وهو الامر كله و
الارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر
واصغر فانظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على
تفخيم ذلك في مواضع وكم من قسم في القرآن بها كقوله والسماء ذات البروج والسماء
والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب وقوله والشمس وضحيها وقوله والنجم اذا هوى
وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم

فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون وما اقسم الله
بها فكيف ظنك بما اقسم الله سبحانه واحال الارزاق اليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون
واثنى على المتفكرين فيها فقال عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلعم
ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر فاطل ايها الغافل
فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى ان تقوم قلبك
بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
حيث قال راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى و
ادنى شي اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما
على وجه الارض ثم عجايب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها
ثم الكرسي ثم العرش ثم الملايكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم من ذلك تجاوز
الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما وبينك وبينه هذه المفاوز
والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة النازلة القريبة وهي معرفة
ظاهر نفسك ثم صرت تطلق لسانك بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت
خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع فارفع الآن راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها
وفي دورانها واشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد
والانسان فما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها تطلع
كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار آخر
ولم يعرف المواقيت واطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت
المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا
وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء وعجايب
السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد
على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الله تعالى وجل حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله الا ولله عز وجل
ثم في لونه ثم في وضعه من السماء بالموضع الذي هو به وقس ذلك بما ذكرناه في اعضاء بدنك
اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم

السماء

السماء وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثمان
مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وانظر كيف عبر
جبرائيل عليه السلام عن سرعة حركتها اذ قال له النبي عليه الصلوة والسلام هل
زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف قلت لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت
نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه
مجال لا آخر له فلو استقصيناه اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا
بمعرفته منه وكل ما عرفناه نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء
وما عرفه العلماء والاولياء نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه الانبياء وما عرفه
الانبياء صلوات الله عليهم قليل بالاضافة الى ما عرفه الملايكة المقربون كاسرافيل و
وجبرايل وغيرهما ثم جميع علوم الملايكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله لم
يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان
من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا كتاب
ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

وما قيل في صبر هذا النعام وفي كتاب
الاصفياء المنقول عن اهل الغنص
م

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال
القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فاذا
هم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود و
من ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان فانظر هل
وجدوا من الموت حصنا وعزا ام اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل
تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستاثر
باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت
مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة
وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد
في الاولى والآخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة

اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر
ونكير جليسه والقبر مقره والقيمة موعده والجنة والنار مورده بان لا
يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له فقد قرب الرحيل وما بقي من العمر الا القليل
والخلق غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر
ما يتعلق بالموت في شطرين **الشطر الاول** في مقدمات الموت وتوابعه الى نفخة
الصور وفيه ثمانية ابواب **الباب الاول** في فضل ذكر الموت اعلم ان المنهمك في الدنيا
يغفل عن ذكر الموت واذا ذكر به كرهه واولئك هم الذين قال الله تع فيهم قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا
هادم اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله تع وقال صلى الله عليه وسلم
لو ان البهايم تعلم من الموت ما تعلمون لما اكلتم منها سمينا وقالت عايشة
رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت
في اليوم والليلة عشرين مرة وقال صلعم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا
وانفع طريق فيه ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله وقال ابن مسعود السعيد
من وعظ بغيره **الباب الثاني** في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية
معالجته **فضيلة قصر الامل** قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا
اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري
ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع
الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب
للدنيا وقالت ام المنذر اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها
الناس اما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال عبد الله خط لنا النبي
صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط
وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا

اي نقضوا به اللذات

الانسان للخط الذي في وسطه وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط
تنهشه ان اخطاه هذا نهشه هذا وذلك الامل للخط الخارج وقال انس قال
النبي صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والامل وفي
رواية ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر قال مطرف بن عبد الله
لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة
عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق **بيان السبب
في طول الامل وعلاجه** اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب اما الجهل
فيندفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
اما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي
اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب
وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير
هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف
ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب **الباب الثالث** في
سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي
العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان
يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان
يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها
بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التي ادركها واما
بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس فهو ان كل عضو
لا روح فيه فلا يحس بالالم فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر
ما يسري الى الروح يتألم فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيرها فما اعظم
ذلك الالم وما اشده فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع
المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل

القرح

من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى القدم فلا تسأل عن كربه و
ألمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض
ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فيبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل
عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك
ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة و
الندامة قال النبي صلى الله عليه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر الموت قال اني تبت الآن الآية
قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم
مرارة الموت ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات
الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل
وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من
الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى ان يهون على
هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت
وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد
عليه الموت لتبلغه سكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر
معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار
وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا المحتضرين كيف تجدون الموت فلما احتضر قيل له
فانت كيف تجد قال اجد كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي تخرج
من ثقب ابرة **بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت** اعلم ان المستحب عند
الموت من حالة المحتضر الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة
ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة في الهدو والسكون فقد
روي عن النبي صلعم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه
ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه

في باب التوبة

وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمتي الشهادة
فهو علامة الخير قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلعم لقنوا موتاكم
لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان
رضي قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال
عبد الله وهو يشهد وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان
المريض فيشق عليه ذلك فيؤدي الى استثقال التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون
ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت وليس في قلبه غير الله تعالى فاذا
لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق فان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم
في حقه **بيان الحيرة عند لقاء ملك الموت بحكايات تعرف بلسان الحال عن حضر**
قال سليمان ابن داود لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع
قال ما انا بذلك اعلم منك انما هي صحف وكتب تلقى الي فيها اسماء وقال عطاء بن يسار
اذا كان ليلة نصف شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال له اقبض في هذه السنة
من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح وينبني البنيان وان اسمه في
تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب
الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات
وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ
بلجام دابته فقال ارسل اللجام قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن
فقهره على لجام دابته فقال اذكرها فقال هي سر فادنى اليه رأسه وقال انا ملك الموت
فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي قال
لا والله لا ترى اهلك ابدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم لقي عبدا مؤمنا في تلك
الحال فسلم عليه فرد السلام فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره فقال
انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته عني فوالله ما كان في الارض غائب
احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت اليها فقال

فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى فاختر على اي حالة شئت ان
اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضأ واصلي
فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال وهب بن منبه قبض ملك
الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت له الملائكة لمن
كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض روح امرأة في فلاة من الارض وقد
ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت
الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف
لما يشاء

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله
عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان صلى الله عليه وسلم
خليل الله عز وجل وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه قال ابن مسعود رضه دخلنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت
عيناه صلعم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله
اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله
والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكأس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم
بعدي مني السلام ورحمة الله وروي انه صلعم قال لجبرائيل عم عند موته ما يفعل ربي
لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبرائيل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره
بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم
حتى تدخلها امته فقال الآن قرت عيني وروي ابن مسعود انه صلعم قال لابي بكر سل
يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله
فليت شعري ما منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى و
الكأس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ الموفى والعيش المهنى فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجل
من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمنية وفي بياض مصر

قال

قال كيف الصلوة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني
وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان
اول من يصلي علي ربي الله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلوة
علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت
مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا
علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم
الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قالت عائشة رضه فلما كان
اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلعم اخرجن عني هذا الملك يستأذن
علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس فتنحيت في ناحية فناجى الملك طويلا فقال
ان الله ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن وان لم تاذن لي رجعت وامرني ان لا اقبض
حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكففه عني حتى ياتيني جبرائيل فهذه ساعة جبرائيل وجاء جبرائيل
فسلم فقال ان الله يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد
ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة لامتك فقال صلعم
اجدني وجعا قال ابشر فان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال جبرائيل يا محمد ان ربك
اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن
عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجي وقالت
وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامرني يا محمد قال الحقني
بربي الآن فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده
عندك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء
جبرائيل فقال عم يا رسول الله هذا آخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا
وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي بها حاجة الا حضورك قالت فقمت الى النبي
صلعم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى تغلبه
وجبينه يرشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت

قوله وصرف المال فيهما اي في الطهارة وفي ستر العورة فان صرف المال الى الماء بل الحدث
والخبث من الثوب والبدن والى ما يستر العورة عبادة مالية وما سواه
اما قلبية او بدنية والعكوف الاحتباس قوله عن الاطيبين وهما قضاء شهوتي
البطن والفرج وقوله حتى تجابوا متعلق بقوله استعينوا على حوائجكم بما ذكر حتى
تجابوا انتم الى تحصيل حوائجكم الى جبر نقصان مصائبكم ط

قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة
ط قوله لعظم شانها ولهذا اعظم النبي عم
امرها فكان آخر ما اوصى به عند وفاته
الصلوة وما ملكت ايمانكم وجعل يقول
وما يقبض عنها لسانه قوله حيث
واستجماعها ضروبًا من الصبر
اشتمالها على الصبر على ضروب الطاعات
القلبية والبدنية والمالية كما
من فانه فيها من بذل المال لتحصيل
الطهور وما يستر به عورته جار
مجرى الزكوة وما فيها من القيام
بموضع المناجاة جار مجرى الاعتكاف
والتوجه فيها الى الكعبة يجري
مجرى الحج وذكر الله ورسوله
يجري مجرى اظهار الشهادتين
للايمان والمجاهدة في مدافعة
الشيطان جارية مجرى الجهاد
والامساك عن الاطيبين
جار مجرى الصوم وما فيها
ما ليس من العبادات الاخر
من وجوب القراءة واظهار
الخشوع والركوع والسجود
وغير ذلك فلاجتماعها الصبر
على هذه الامور خصص بارجاع
الضمير اليها فقط والخضوع
لين وانقياد معنوي وفي
التيسير الخشوع في اللغة
التذلل عن خشية وخشع
اي تطامن وخشع ببصره
اذا غضه وعن الراغب ان الخشوع ضراعة واكثر ما يستعمل
فيما يوجد في الجوارح والضراعة اكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب شيخ زاده في تفسير سورة البقرة

رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول اذا فاح بابي وامي ونفسي واهلي ما يلقى جبينك من
الرشح فقالت يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس
الحمار فعند ذلك بعثنا الى اهلينا فكان اول رجل ولم يشهده اخي بعثته الي ابي
فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيئ احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه
جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخير يعاد عليه فاذا اطاق
الكلام قال الصلوة الصلوة فانكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعًا الصلوة الصلوة
كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلوة الصلوة قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من
يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت عائشة رضي لما مات رسول الله
صلعم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا
فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلا توا الكلام
بغير بيان وبقي آخرون ومعهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب
بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر
والعباس رضي الله عنهما فان الله عز وجل ايدهما على التوفيق والسداد وان كان الناس
لم يرعووا الا بقول ابي بكر جاء العباس رضي الله عنه فقال والله الذي لا اله الا
هو لقد ذاق رسول الله صلعم الموت ولقد قيل له بين اظهركم انك ميت وانهم
ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وخرج ابو بكر الى الناس فقال ايها
الناس من كان يعبد محمدًا فان محمدًا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه
حي لا يموت قال الله تع وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ
وفاة ابي بكر رضي الله عنه لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة فتمثلت
بهذا البيت لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يومًا وضاق بها
الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان

الحي

وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون وانما لم تثقل عليهم اي لم تثقل
الامور المذكورة من الاستعانة بهما او الصلوة او جملة ما كلف بنو اسرائيل على الخاشعين لا لقلة مشقتها وتعبها
بالنسبة اليهم بل مشقة ما اتوا به من الطاعات اكثر مشقة مما اتى به غيرهم لكنهم مع ذلك لما توقعوا في مقابلتها
ما يستحقر لاجله مشاقها لم تثقل عليهم هي حيث فعلوها باتم رغبة ووفور نشاط قال الامام فان قيل
ان كانت ثقيلة على هؤلاء سهلة على الخاشعين وجب ان يكون ثوابهم اكثر وثواب الخاشعين اقل وذلك قول منكر قلنا

ليس المراد ان الذي يلحقهم من التعب
اكثر مما يلحق الخاشعين وكيف
يكون كذلك والخاشع يستعمل عند
صلوته جوارحه وقلبه وسمعه وبصره
ولا يغفل عن تدبر ما ياتي به من الذكر
وعن التذلل والخضوع واذا تذكر الوعيد
لم يخل من حسرة وغم واذا ذكر الوعد
فمثل ذلك واذا كان هذا فعل الخاشع
فالمثقل عليه بفعل الصلوة اعظم
وانما المراد بقوله وانها لثقيلة على من
لم يخشع انه من حيث لا يعتقد في فعلها
ثوابًا ولا في تركها عقابًا يصعب عليه
فعلها لان الاشتغال بما لا فائدة فيه
يثقل على الطبع واما الخاشع فلما
اعتقد في فعله اعظم المنافع وفي تركه
اعظم المضار لم يثقل عليه ذلك لما
يعتقد في فعله من الفوز بالنعيم
المقيم والخلاص من العذاب الاليم
ومثاله اذا قيل للمريض كل هذا المر
فان اعتقد ان له شفاء اسهل ذلك
عليه وان لم يعتقد ذلك فيه صعب
الامر عليه ومن اجل ان الامر الصعب
الشديد يسهل على من اعتقد فيه
نفعًا عظيمًا قال عليه السلام
حبب الي الطيب والنساء و
جعلت قرة عيني في الصلوة فانه عم
كان يعد غيرها من الاعمال الدنياوية
تعبًا وكان يستريح في الصلوة لما فيها
من مناجاة الله تعالى كان يكثر حتى تورم
قدماه وقرة العين برودتها وهنا
كناية عن السرور والفرح
شيخ زاده

الحي اولى بالجديد ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبًا ينظر اليك فقال قد نظر الي
وقال اني فعال لما يريد ودخل سلمان الفارسي يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال
ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة
الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل
ابو بكر واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا
فظًا غليظًا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك وفاة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال عمرو بن ميمون كنت قائمًا غداة اصيب عمر ما بيني وبينه
الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما واذا راى خللًا
قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللًا تقدم وكبر فربما قرا سورة يوسف او النحل او
نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني
الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينًا وشمالًا
الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك
رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر
عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي
المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله
سبحان الله وصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس
انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله
لقد كنت امرت به معروفًا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم
قال فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جرحه
فاتي بلبن فشرب فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء
يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت داخلًا فسمعنا بكاءها من داخل الدار فقالوا يا امير المؤمنين
اوص استخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلعم
وهو عنهم راض فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف وقال
يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدًا

لم اعز ناه

ذراك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اخرج من عهد وضمانة **وفاة عثمان بن عفان**
رضي الله عنه الحديث في قتله مشهور فعن قال عبد الله بن سلام اتيت اخي
عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة والخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك فقلت
نعم قال اعطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني
لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت
عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل في ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام
لمن حضر تشحط عثمان رضع في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا
سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد عليه السلام ثلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله
ان لا يجتمعوا ما اجتمعوا ابدا الى يوم القيمة وروي عن شيخ بن ضبة ان عثمان رضع
حين ضرب والدماء على لحيته تسيل جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر
على ما ابتليتني **وفاة علي بن ابي طالب رضي الله عنه** قال الاصبغ الحنظلي لما كانت
الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه
بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام
وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت اذا حل
بواديكا فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة علي
رضي الله عنه فجعلت تقول مالي ولصلوة الغداة قتل زوجي عمر بن الخطاب رضع
صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضع لما ضربه
ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضربه اوصى بنيه ثم لم ينطق
الا بلا اله الا الله حتى قبض **ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما** دخل عليه الحسين رضي الله
عنهم فقال له يا اخي لاي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلعم وعلى علي بن ابي طالب
وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما اماك وعلى حمزة وجعفر
وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله **وعن محمد بن الحسن** لما نزل

القوم

قا تلون هم

القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال
قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وتشمرت حتى لم يبق
منها الا صبابة كصبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل
به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله عز وجل واني لا ارى الموت
الا سعادة والحيوة مع الظالمين الا برما **الباب الخامس في كلام المحتضرين من**
الامراء والصالحين لما حضرت معوية بن ابي سفيان الوفاة جعل يسبح الله
ويذكره ثم يبكي ويقول تذكرت ربك يا معوية بعد الهرم والانحطام وقال يا رب ارحم
الشيخ العاصي ذا القلب القاسي وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني
كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما قرب موت عمر بن عبد
العزيز بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المؤمنين ابشر فقد احيى الله بك سننا واظهر بك عدلا
فبكى ثم قال اليس اوقف فاسئل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي
ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا ان يلقنها حجتها وقال انا الذي امرتني فقصرت
ونهيتني فعصيت ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له
في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض وحكايات هرون الرشيد انتقى اكفانه
عند الموت بعينه وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش الرماد
رمادا واضطجع فكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وقال الحجاج عند موته
اللهم اغفر لي فانهم يقولون لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه
ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى **بيان اقاويل جماعة من**
خصوص الصالحين ولما حضرت معاذا الوفاة قال اني قد كنت اخافك وانا اليوم ارجوك
وكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك وعزتك انك لتعلم ان قلبي
يحبك ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن
عهد عهد الينا رسول الله صلعم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات
سلمان نظر فيما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امراته
واحزناه فقال له بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل نحو عبد الله بن المبارك

عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال
نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه يا ابا القسم
قال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي
قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم عند موته قل الله قال الى متى تقولون وانا
محترق بالله وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان
اوصي بهم الى غيره ولما احتضر الواسطي قيل له اوصني قال احفظوا مراد الحق فيكم وقال الجنيد دخلت
على سري السقطي في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول كيف اشكو الى طبيبي والذي
اصابني من طبيبي **الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر** ويروى عن ابي هريرة
انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري
من نعزي لحزن الجميع فهكذا كان خوفهم من الموت والآن يحضرون جماعة جنازة ويضحكون
ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه ولا سبب هذه الغفلة الا قسوة القلوب نظر ابراهيم
الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا
من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن
ومن آداب حضور الجنائز حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس
وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها ولذلك روي عن
عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه وتحامى كثير من الناس
جنازته فحضر عمر بن ذر وصلى عليها فلما ادلي في قبره وقف على شفير القبر وقال رحمك
الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا
مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا وكان الربيع بن خثيم
قد حفر في داره قبرا اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ما شاء الله ثم
يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك
فاعمل حق على من مات او قريب من اقاربه ان ينزله في تفرقه عليه في الموت منزلة
في سفر يسبقهم ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه لعلمه بانه لاحق به على

القرب

القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر فانه لا يعظم تأسفه عليه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم
يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على
قدر الولد من القلب **بيان زيارة القبور والدعاء للميت** زيارة القبور مستحبة
على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك
مع الاعتبار وقد كان النبي صلعم نهى عن زيارة القبور ثم اذن فيها وقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها
تذكرة للآخرة غير ان تقولوا هجرا وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد وجبت
له شفاعتي قال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر
يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلعم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم
فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج صلعم في سبعين الفا من الملائكة
يزفونه **والمستحب** في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه
الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى
قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي صلى
الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله
صلعم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس ورد عليه حتى يقوم وقال
سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلعم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين
ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر
الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه
فسلم عليه رد عليه السلام ولا باس بقراءة القرآن على القبر روي عن علي بن موسى الحداد
انه قال احمد بن حنبل اخبرني مبشر بن اسمعيل الحلبي عن ابيه انه اوصى اذا دفن
ان يقرأ عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال محمد بن المروزي سمعت
احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله

احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم الباب السابع في
حقيقة الموت وما يلقاه الميت الى نفخة الصور الذي يشهد له طرق الاعتبار
وينطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية
بعد مفارقة الجسد اما منعمة معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها الجسد
انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح
تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب
والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك
تتألم بنفسها بانواع الحزن والغم وتتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق
بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو
لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا
يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم
بما حكم به على كل عبد من عباده والروح الذي يدرك من الانسان العلوم والآلام
والغموم ولذات الافراح مهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها العلوم
والادراكات ولم يبطل منها الافراح والغموم ولم يبطل منها قبولها للآلام واللذات
بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم
ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات
واخبار اما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
ولما قتلت صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان
يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل
يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص
على بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو

رحاله

الميت

الميت عن سعادة او شقاوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة
من حفر النيران النار واما روضة من رياض الجنة واعلم ان المؤمن ينكشف
له عقيب الموت من سعة جلال الله ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن
والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف
لا يبلغ طرفه اقصاه وفيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار ولا يشتهي
العود الى السجن المظلم وقد ضرب النبي صلعم مثلا فقال الرجل مات اصبح هذا مرتحلا
من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم
ان يرجع الى بطن امه بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير قال البراء بن عازب
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول
الله صلعم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم
قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله اليه ملائكة كان وجوههم الشمس
معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك
بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا
يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول
ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية
وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن
نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه
انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان
صدقت وهو معنى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول له
ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير
من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت سريعا في طاعة
الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ثم قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له

من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة
فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الفاجر فانه اذا
كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم
ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك
بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس منها باب
الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك
فلان لم يقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني
وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا
مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري
فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر
بسخط من الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك
الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله جزاك
الله شرا فيقول وانت جزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة
من حديد لو اجتمع الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا او يضرب بها جبل لصار ترابا
فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها
من على الارض غير الثقلين قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين
من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة

اعلم ان انوار البصائر
المستفادة من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج
الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء
ولكن حال زيد وعمرو بعينه لا ينكشف بذلك اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد
فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى
محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا يمكن معرفة حكم

زيد

زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم
الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة ولا يدرك
بعين اخرى خلقت تلك العين في كل قلب انسان ولكن الانسان جعل عليها
غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنياوية وانما كانت الغشاوة منقشعة
عن اعين الانبياء عليهم السلام فشاهدوهم واخبروا عنهم ولذلك رأى رسول الله
صلعم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وانما الممكن من
امثالنا المشاهدة في المنام وهي من انوار النبوة قال رسول الله صلعم الرؤيا
الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى

فمن ذلك رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام
فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي قال عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي فقال الست المقبل وانت صائم قال فوالذي
نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا وقال العباس كنت ودا لعمر فاشتهيت ان اراه
في المنام فما رأيته الا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه ويقول هذا اوان
فراغي ان كاد عرشي ليهدي لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وعن عمر بن عبد العزيز قال
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا
جالس اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان
باسرع ان خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية
على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة قال بعض المشايخ رأيت سميا الدوري في
المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال ديري في الجنان فقيل لي يا سمي هل احسنت
فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت فيها شيئا لوكلتك اليه وما اوصلتك الي
وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني
بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني
في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته
فاستحييت من الله ان اذكره وقال الجنيد رأيت في النوم كاني اتكلم على الناس فوقف علي

ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله ماذا فعلت عمل خفي في مكان خفي ميزانا
وفي فوق الملك وهو يقول كلام موثوق قال ابراهيم بن اسحاق الحربي رايت زبيدة في المنام
فقلت ما فعل الله بك فقالت كل ذنب استغفرت منه غفر لي فقلت بها بما انفقت في طريق
مكة اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي وقال الكتاني
رايت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك طاحت الاشارات وذهبت العبارات
وما حصلت الا ركعتين كنت نصليها في الليل ولما مات سفيان الثوري رأى في المنام
فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة ورئي مالك بن انس
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان عند رؤية الجنازة
سبحان الحي الذي لا يموت **الشطر الثاني في احوال الميت من نفخة الصور الى آخر الاستقرار
في الجنة او النار** قال مقاتل الصور هو القرن وذلك اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة
البوق ودايرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر
متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ فصعق من في السموات ومن في الارض اي مات كل
حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم
يأمر ملك الموت ان يقبض روح جبرائيل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك
الموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل
فيأمره ان ينفخ الثانية فذلك قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قيام على ارجلهم
ينظرون البعث قالوا حتى نبعث الى نبعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه
وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ **صفة ارض المحشر**
انظر كيف يساقون بعد البعث وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا يرى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة
ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا انسجا
من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها
الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة الثانية **صفة العرق** ثم تفكر

في ازدحام الخلايق على الموقف اهل السموات والارضين السبع اشرفت عليهم الشمس وقد
تضاعف حرها ثم ادنيت من رؤوس الخلايق قاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا
ظل عرش الرحمن ولن يمكن من الاستظلال به الا المقربون ثم ترادفت الخلايق لشدة
الزحام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء ففاض العرق من اصل
كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم قال ابن عمر رضه قال النبي صلعم
يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة
رضه قال النبي صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارضين سبعين
باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم هكذا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وقال عقبة بن عامر
قال النبي صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ
نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من [illegible]
يبلغ فاه واشار بيده الى فيه ومنهم من يغطيه عرقه ومنهم من يبلغ نحره ومن ضرب بيده على
راسه هكذا واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله في حج وجهاد وصيام وقيام
وتردد في قضا حاجة مسلم وحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فيخرجه الحياء
والخوف في صعيد القيمة **صفة طول يوم القيمة** قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب
العالمين يقومون ثلثمائة عام قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تلا النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة
لا ينظر اليكم واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن
الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال النبي صلعم لما سئل عن طول
ذلك اليوم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اهون من الصلوة
المكتوبة يصليها في الدنيا **صفة يوم القيمة ودواهيها** فاستعد يا مسكين لهذا
اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم السماء
فيه انفطرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت
والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس

الى الابرار وزدت والجحيم سعرت والجنة ازلفت يوم يمنع فيه العاصي عن الكلام
ولا يسال فيه عن الاجترام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم تشيب ذكره سيد
المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها العاجز حظك من قراءتك ان تمجمج القران
وتخفض به اللسان ولو كنت متفكرا لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شاب
به شعر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت
ثمرة القران صفة الميزان ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سياتهم
ولكن يابى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين فضله عند العفو وعدله
عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيات
وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى
لسان الميزان ايميل الى جانب السيات ام الى الحسنات وهذه حالة هائلة
تطيش فيها عقول الخلايق روى الحسن ان النبي صلعم راسه فانتبه وقال ما يبكيك لها
كان في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها
على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه وقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت
الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده ثلاث مواطن لا يذكر
احد الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم ايخف ميزانه
او يثقل وعند الصحيفة ينظر ابيمينه ياخذ ام شماله وعند الصراط صفة الخصماء ورد المظالم
قد عرفت هول الميزان وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه
فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار
حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن
فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضع حاسبوا انفسكم
قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية

توبة

توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرايض الله ويرد المظالم حبة بعد حبة
ويستحل عن كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته ويطيب قلوبهم حتى يموت
ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم
احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت
بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا
يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت
قادرا على رد الظالم فداهنت الظالم وما راعيتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني و
اخفيت عني عيب سلعتك وهذا يقول في شعرها علك فبينا انت كذلك وقد
انشبت الخصماء فيك مخالبهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك
احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة
او خيانة او نظر بعين استخفاف وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء
الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ يقرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار
وتتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الله عما غافلا م
يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى قوله افئدتهم هواء فعند ذلك
توخذ حسناتك التي انفقت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو
هريرة رضع قال النبي صلعم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له
ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وياتي
وقد شتم هذا واخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته وان فنيت قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه
ثم طرح في النار صفة الصراط ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله تع يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تع فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم مسئولون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط

وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام
في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة
في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى تعثر على اول قدم من الصراط وتردى
قال النبي صلعم يضرب الصراط بين ظهري جهنم واكون اول من جاز بامته من
الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم
كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا
الله يختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو
سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب
وخطاطيف يختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبيه ملائكة يقولون اللهم سلم
سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعيا ومنهم
من يمشي مشيا ومنهم من يحبو ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم
اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون
فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث **صفة الشفاعة** اعلم انه اذا حقت
النار على طوائف من المؤمنين فان الله تع بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين
بل شفاعة العلماء والصالحين وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار والآثار
كثيرة قال الله تع ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه فقال امتي امتي ثم بكى فقال الله تع يا جبرائيل
اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فاخبره والله اعلم به فقال يا جبرائيل اذهب
الى محمد انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال عم اذا كان يوم القيمة كنت امام
الناس وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر
وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن
دونه وقال عليه السلام لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي

ولاحاد

ولاحاد امته من العلماء الصالحين شفاعة ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم
يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال عليه السلام يقال
للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين
على قدر عمله وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف
يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني
فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني
شربة فسقيتك وقال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى
ويقول اني اشرفت على اهل النار فنادى رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من
انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها فشفعني فيه فيشفعه
الله فيؤمر به فيخرج من النار **صفة الحوض** قال انس رضي الله عنه اغفى النبي صلعم
اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله بم ضحكت فقال آية انزلت
علي آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر
وعدنيه ربي في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيمة آنيته
عدد الكواكب وقال ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلعم ان حوضي
ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس
ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر رضه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث
رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد وقال
عمر بن عبد العزيز لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي السدد
الآن يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي
على جسدي حتى يتسخ **القول في صفة جهنم** ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت

فيه من شواغل الدنيا المشرفة على الانقضاء ودع التفكر فيما انت عنه مرتحل واصرف
الفكر الى موردك فانك اخبرت ان النار مورد الجميع اذ قيل وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وانظر
الآن في اودية جهنم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد
في كل واد سبعون الف شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر
والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضه قال النبي صلى الله عليه وسلم تعوذوا
بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن
قال واد في جهنم يتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة اعده الله للقراء المرائين
وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض
الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الى تفاوت
الدركات فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستهتر كالمولع
كالغريق فيه ومن خائض فيه الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان
الله لا يظلم مثقال حبة بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم
عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال النبي صلعم
ان ادنى اهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه ثم انظر
الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من
زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال ابن عباس رضه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على
اهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلعم ارغبوا فيما
رغبكم الله فيه واحذروا وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم
فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها لحلتها لكم ولو كانت قطرة من النار
معكم في دنياكم التي انتم فيها لخبثتها عليكم فان قلت فليت شعري موردي الى ماذا مآلي
ومرجعي قلت فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي ان تنظر احوالك

واعمالك

واعمالك فان كل ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار
وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك
اسبابه فاعلم انك مقضي عليك بالنار فان دلالة هذا الامر على العاقبة كدلالة
المطر على النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال الله تع ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

القول في صفة الجنة

واعلم ان تلك الدار التي عرفت همومها تقابلها دار اخرى
فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى
فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم
المقيم الموعود لاهل الجنان والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من
الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان لكان جديرا بان تهجر الدنيا بسببها
وان لا يوثر عليها ما التصرم والتنغيص من ضروراتها كيف واهلها ملوك آمنون
في انواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش
يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه
الى سائر نعيم الجنان وهم على الدوام في اصناف هذه النعم يترددون ومن زوال
هذه النعم آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلعم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا
فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبؤسوا ابدا فذلك قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس من وراء
بيان الله بيان واقرا من قوله تع ولمن خاف مقام ربه جنتان واقرا سورة الواقعة
وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن
تفصيلها بعد ان اطلعت جملتها وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تع ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وجنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على
وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات

كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين
من ماله في سبيل الله دُعِيَ من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلوة
دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من
اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال
ابو بكر رضي الله عنه والله ما على احد من ضرورة من ايها يُدعى فهل يُدعى احد منها كلها
فقال نعم ارجو ان تكون منهم وقال جابر رضه قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم بغرف
الجنة فقلنا بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غُرفًا من اصناف الجوهر
كله يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت فقلت يا رسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام
واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن
يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد
عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله حتى يُشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام
شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الاخرة وصلى الغداة
في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اي اليهود والنصارى والمجوس **صفة الجنة
وارضها واشجارها وانهارها** قال النبي صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة
من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وقال ابو هريرة رضه قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرءوا ان شئتم وظل ممدود
قال ابو امامة رضه اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية
وما كنت أرى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال النبي صلعم ما هي قال هي السدر
فان لها شوكًا فقال قال الله تع في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة
ثمرة ثم تتفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر **صفة
لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم** قال الله تع يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار

فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس
لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقال النبي صلعم في قوله تع يحلون فيها الآية قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة
فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال ان الخيمة درة مجوفة فرسخ طولها في السماء
ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهلها اهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح
وقال ابو سعيد الخدري رضه قال النبي صلعم وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين
السماء والارض **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن
من الفواكه والطيور السمان والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله
تع كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله
شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قاعدا
عند النبي صلعم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال من اول الناس اجازة
على الصراط فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة
فقال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم فقال ينحر لهم ثور الجنة الذي ياكل من اطرافها
قال فما شرابهم عليه قال من عين تسمى سلسبيلا فقال صدقت **صفة الحور العين
والولدان** قد تكرر في القرآن اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه قال
ابو سعيد الخدري قال النبي صلعم في قوله كانهن الياقوت والمرجان فان النظر الى
وجهها في خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق
والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء
ذلك قال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة يسعى معه الف خادم وكل خادم
على عمل ليس عليه صاحبه وقرا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تع حور مقصورات في الخيام
وقوله تع ازواج مطهرة يعني من الحيض والغائط والبول والنجاسة والنخامة
والمني والولد وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها
تعجبني قال ان احببت ذلك أتيت بفرس ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث

شيت وقال له رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت
الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تع

قال الله تع للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تع
وهذه اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة
شهد بها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة وقال جرير بن عبد الله
البجلي كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون
ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة
على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع وقبل
الغروب وهو مخرج في الصحيحين فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة والشوق
شي سوى لقاء المولى فاما ساير نعيم الجنة فانه يشاركه فيه البهيمة المسرحة
في المرعى

ختم الكتاب ببيان في سعة رحمة الله على سبيل التفاؤل

وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي بالنبي
صلعم في التفاؤل فنرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة
الله وقد قال الله تع ان الله لا يغفر الذنوب ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زل به القدم او طغى
به القلم في كتابنا هذا وفي ساير كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافق
اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله مع
التقصير فيه ونستغفره من كل علم قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره
ومن وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل تصريح وتعريض
بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى
تصنع وتكلف راينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم استفدناه

واقررناه

واقررناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا
او كتبه او سمعه ان يكرم بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا
فالكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلق فايض نحن خلق من خلق الله لا
وسيلة لنا الا فضله وكرمه وقد قال عليه السلام ان لله تع مائة رحمة انزل منها رحمة
واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام بها يتراحمون ويتعاطفون واخر
تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ويروي انه اذا كان يوم القيمة اخرج
الله كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من
النار مثلا اهل الجنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم يتجلى الله لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول
ابشروا يا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا
او نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيمة من جميع ذريته في مائة
الف الف وعشرة آلاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تع يقول يوم القيمة هل احببتم
لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول ولم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد
اوجبت لكم مغفرتي وقال النبي صلعم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم
من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم
اسلامكم وانتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله ما قالوا
فيامر باخراج من كان في النار من اهل قبلتنا فيخرجون فحينئذ يقول الكفار ذلك قالوا
يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وقال النبي صلعم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة المشفقة
بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك
الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك
الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لمن
اوبق نفسه واثقل ظهره ويروي ان الله تع قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون
فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وقال النبي صلعم ينادي مناد

من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبت لكم وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم فيه خير لكم الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وساحدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو العاص قال النبي صلعم ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل البصر ثم قال اتنكر من هذا شيئا اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء وقال النبي صلعم في حديث آخر طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله عز وجل يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر احدا ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف دينار فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فالقاهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون منها كما يخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر وابيض وما يكون الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة

يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فيها فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول رضائي فلا اسخط عليكم بعده ابدا روى البخاري ومسلم في صحيحيهما هذا الخبر وروى البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن ولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله وهؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال اشرف قول عكاشة فقال النبي عليه السلام سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الينا الا للصلوة المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث فقال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب اتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبرائيل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا تشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبرئيل وان سرق وان زنى قال وان سرق وزنى وشرب

الخبر وقال ابو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقع صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد عليه في يوم صائف شديد الحر فبصرت امه به في خيام القوم فاقبلت تسعى اليه واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا

بسعة رحمة الله ونرجو الله عز وجل الآن ان لا يعاملنا

بما نستحقه ويتفضل علينا كما هو اهله بمنه وسعة رحمته

قد وقع الفراغ من استخراج هذا المنتخب من كتاب احياء العلوم

في اول آخر ربيعي سنة اربع وخمسين والف ... لتكون

موعظة وذكرى لنفسي ولفقراء الطلاب الذين لا يقدرون

على ذلك الكتاب بالتمام ويعجزون عن الاخذ منه اكمال

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وعلى آله واصحابه اجمعين ومن اراد زيادة تفصيل فليرجع الى الاصل فان هذا الجزء تذكرة لمذكر الكل وهذا القليل دليل على تلك الشبل تم بعون الله ومنه

تم الكتاب في مدرسة مصطفى پاشا في يد محمد بن ... غفر الله له ولوالديه ولاستاذيه بحق النبي

عليه الصلوة والسلام واصحابه وآله

واعلم ان في هذه الاية وهي قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله دلالة على ان الايمان بهذه الامور الاربعة على الترتيب المذكور اصل يتفرع عليه الايمان بجميع ما يجب ان يؤمن به الاول الايمان بالله تعالى فان من لم يؤمن بان للعالم صانعا قادرا على جميع المقدورات عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات لا يتصور تصديق الانبياء فكان معرفة الله والايمان به هي الاصل في باب الايمان فلذلك قدم الايمان به في ترتيب الذكر والثاني الايمان بالملائكة فانه هو الاصل الثاني الذي يتفرع عليه الايمان بالكتب لانه تعالى يوحي الى الانبياء بواسطة الملائكة قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وقال فانه نزله على قلبك وقال نزل به الروح الامين على قلبك فاذا ثبت ان وحي الله انما يصل الى البشر بواسطة الملائكة وجب الايمان بهم بعد الايمان بالله تعالى فلذلك ذكر الايمان بهم في المرتبة الثانية والثالثة الايمان بالكتب والمراد بها الوحي الذي يتلقنه الملك من الله فيوصله الى البشر فما لم يثبت الوحي لم يتصور الايمان بالانبياء فلذلك ذكر الايمان بالوحي في المرتبة الثالثة والرابع الايمان بالرسل وهم الذين يقتبسون انوار الوحي من الملائكة فيكونون متاخرين في الدرجة من الكتب فلذلك ذكر الايمان بهم في المرتبة الرابعة وفي هذا الترتيب اسرار عظيمة لا يهتدي اليها الا اولوا الالباب

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ثلث دعوات مستجابات لا شك فيهن

دعوة المسافر ودعوة المظلوم صدق رسول الله

وصدق حبيب الله

روى الامام الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسرى بالنبي عم الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت له الملائكة ان الله عز وجل قد اكرمك بحسن الثناء عليك بقوله آمن الرسول فاسئله وارغب اليه فعلمه جبرائيل عم كيف يدعو فقال رسول الله صلعم غفرانك ربنا واليك المصير فقال الله تعالى قد غفرت لك فقال لا تؤاخذنا فقال الله تعالى لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال الله تعالى لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال تعالى عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم وانصركم على القوم الكافرين

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما انزل جبرائيل هذه الاية ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا حتى ختم السورة وكل ما قالها جبرائيل قالهن رسول الله فقال رب العالمين قد فعلت وذكر الامام النسفي في التيسير انه قال الحسن ومجاهد وابن سيرين وابن عباس رضي الله عنهم في رواية ان جبرائيل عم انزل على محمد عم جميع القرآن الا هذه الايات الثلث فان الله اوحى الى محمد عم هذه الايات الثلث ليلة المعراج بلا واسطة وسورة البقرة مدنية الا هذه الايات الثلث وقال سعيد بن جبير والضحاك وعطا وابن عباس رضي الله عنهم في رواية ان جبرائيل انزلها على رسول الله بالمدينة

فان قيل ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداعي اذا دعان وقوله ادعوني استجب لكم مع انا نرى الداعي
يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب أجيب بان هذه الاية وان وردت مطلقة الا انها
اوردت في موضع آخر مقيدة حيث قيل بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق
يحمل على المقيد وقد روي عن عبادة بن الصامت رضه انه قال سمعت رسول الله صلعم قال ما على الارض
من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه الله اياها او كف عنه من سوء مثلها ما لم يدع
بإثم او قطيعة رحم وللدعاء اوقات واحوال يكون الغالب الاجابة كالسحر ووقت الافطار
وما بين الاذان والاقامة وما بين الظهر والعصر في اليوم الاربعاء واوقات الاضطرار
وحالة السفر والمرض وعند نزول المطر وفي صف القتال في سبيل الله كل هذا جاءت به الآثار

قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم

شيخ زاده في سورة البقرة

ثم ان القتال ليس بمكره عليه بالنسبة الى من كلف به لان المكلف انما يقاتل باختياره امتثالا لامر الله
الا انه تعالى جعل القتال مكرها عليه وحكم عليه بذلك تشبيها له بالمكره عليه لشدته وعظم مشقته
فهو من قبيل التشبيه البليغ كما في زيد اسد وهو قول المص كانه اكرهوا عليه لشدته
كما انه جعل كل واحد من حمل الام ووضعها كرها بمعنى انه مكره عليه تشبيها له بذلك كما ذكر
ان الجهاد والقتل مع كونه مكروها طبعا فرض عليهم رغبتهم فيه فقال وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم فان جميع ما كلفوا به من قبيل ما يكرهه طبع المكلف وهو خير له يؤدي الى الجنة
والسعادة الابدية كما ان جميع ما نهوا عنه من قبيل ما يميل اليه الطبع ويحبه وهو شر له يؤدي
الى الردى وعذاب النار كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فمعنى الاية
ربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال وهو سبب للراحة العظيمة في المآل وربما يكون الامر بالعكس
قوله وانما ذكر عسى يعني ان الجملة انما تصدرت بعسى ولعل اذا كان مضمونها غير محقق الوقوع بل
كان مطموعا متوقع الوقوع وكون الانسان كارها بطبعه لما يكون عاقبته خيرا وصلاحا امر مقرر ليس موضعا
لايراد عسى الا انه ذكرت في هذا الموضع كلمة عسى تعظيما لشان المخاطبين وتنزيها عن ان ينسب اليهم استكراه
ما هو خير لهم واصلح الا على سبيل الندرة فان النفوس المرتاضة اي المتذللة المنقادة قواهم الطبيعية و
والشهوانية لقوتهم العاقلة تغلب عليها الصفات الملكية ولا يستحسرون ولا يستنكفون الا طاعته
وعبادته كالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فمثل هذه النفوس لا يليق ان ينسب
اليهم الاعتياد واستثقال الخير واستكراهه طبعا فلذلك قيل عسى ان تكرهوا ما هو خير لكم
وتحبوا ما هو شر لكم قوله والله يعلم ما هو خير لكم اشارة الى ان العلم ههنا بمعنى المعرفة متعد الى مفعول
واحد هو ما الموصولة وان تعلقه بذلك المفعول مراد وليس منزلا منزلة اللازم وفيه دليل على ان
احكام الله وافعاله وان لم تكن معللة بالاغراض لكنها تتبع الحكم والمصالح الراجحة

شيخ زاده في تفسير سورة البقرة